DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

الخطر الغربي على المُقاطعات اللُبنانيَّة خلال العهد المصري

د. باسم مروان فليفل
مكتبة نعمة يافث التذكاريَّة – الجامعة الأميركيَّة في بيروت – لُبنان
البريد الالكتروني:bf08@aub.edu.lb, bassemmarwan116@gmail.com

الملخص

ساهم والي مصر مُحمَّد علي باشا بِخدماتٍ جليلةٍ لِلدولة العُثمانيَّة في كُلٍ من شبه الجزيرة العربيَّة والمورة، عندما حارب الوهَّابيين والثُوَّار اليونانيين، وطمع في مُقابل ذلك أن تُكافئه السلطنة بِإحدى الولايات إلى جانب مصر، إلَّا أنَّ هذا لم يحصل. ولمَّا كان مُحمَّد علي ذا أطماعٍ سياسيَّةٍ بعيدة، فقد قرَّر أن ينتزع بلاد الشَّام ويضُمُّها إلى مُلكه بِالقُوَّة، لأهميَّتها الاستراتيجيَّة والاقتصاديَّة والبشريَّة، فاستغلَّ الاضطرابات وحالة الضعف التي تمر بها الدولة العُثمانيَّة، فأرسل جُيُوشه إلى الديار الشاميَّة وتمكَّن من ضمِّها إلى ولايته، وأُجبر السُلطان على الاعتراف بِالواقع الجديد أمام الضُغُوطات الأوروبيَّة وفي سبيل إحلال السلام في البلاد العُثمانيَّة. أدَّى ضمُّ مُحمَّد علي باشا لِبلاد الشَّام إلى تعرُّضها إلى الكثير من المخاطر نتيجة ازدياد التدخُّلات الغربيَّة في شُؤونها الداخليَّة، التي جاءت نتيجة تحالف مُحمَّد علي باشا مع فرنسا، وبالتالي ازدياد نُفُوذها في الشَّام في ظل حُكمه، وسعي باقي الدُول الأوروبيَّة للحفاظ على مصالحها في تلك البلاد، ممَّا أضرَّ بِشؤون السلطنة العُثمانيَّة ورعاياها على المدى البعيد.

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية، محمد علي باشا، الأطماع الغربية في البلاد العربية، إبراهيم باشا، المسألة الشرقية، الرجل المريض، رجل أوروبا المريض، سلالة محمد علي باشا، العهد المصري في الشام، الحرب العثمانية المصرية.

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

The Western Threat to the Lebanese Provinces during the Egyptian Era

Dr. Bassem Marwan Fleifel
Nami Jafet Memorial Library – American University of Beirut - Lebanon
Email: bassemmarwan116@gmail.com, bf08@aub.edu.lb

ABSTRACT

Muhammad Ali Pasha, *Wāli* of Egypt, served the Ottoman Empire admirably both in Arabia and Morea, fighting the *Wahhābis* and the Greek revolutionaries. He hoped that in return, the Sultanate would reward him with another *Eyalet* to rule alongside Egypt, but that never happened. Since Muhammad Ali had far-reaching political ambitions, he decided to annex the Levant due to its strategic, economic and demographic importance. So he took advantage of the turmoil and the state of weakness that the Ottoman Empire was going through, and sent an army to the Levant, conquering it with ease, forcing the Sultan to recognize this new situation due to European Pressures, and in order to maintain peace throughout the Empire. Muhammad Ali Pasha's annexation of the Levant resulted in its exposure to many dangers as a result of the increase in Western interference in its internal affairs, which in return was the result of Muhammad Ali Pasha's alliance with France, who's influence increased consequently in the Levant under the Pasha's rule. This prompted the rest of the European powers to work on preserving their interests in the region, which had a long term negative effect on the Ottoman Sultanate and its subjects.

Keywords: Ottoman Empire, Muhammad Ali Pasha, Western ambitions in the Arab countries, Ibrahim Pasha, The Eastern Question, The Sick man of Europe, Muhammad Ali's Dynasty, The Egyptian era in the Levant, Ottoman-Egyptian war.

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

مُقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمُرسلين سيِّدنا مُحمَّد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وكُلِّ من اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد، فإنَّ مُحمَّد علي باشا يُعدُّ أكبر وُلاة المشرق العربي خلال أواخر العصر العُثماني دون أي مُنازع، ولا يختلف اثنان في أنَّ لهُ فضلٌ كبير في تحديث المرافق الرسميَّة في الديار المصريَّة، وتحسين بعض جوانب الحياة فيها، وبأنَّهُ ساهم في تحقيق عدَّة انتصارات لِلدولة العُثمانيَّة في شبه الجزيرة العربيَّة وفي بلاد المورة. ولا يُخفى أيضًا بِأنَّهُ كان صاحب طُموحاتٍ سياسيَّةٍ بعيدة الأمد، ولمَّا لم يحصل عليها سلمًا قرَّر أن ينتزعها بالقُوَّة من أيدي السلطنة العُثمانيَّة.

كان ضمُّ الشَّام أبرز طُمُوحات مُحمَّد علي باشا، وذلك بِسبب موقعها الاستراتيجي وغناها بالرجال والأموال والمواد الأوليَّة التي تفتقدها مصر، وفي مُقدمتها الأخشاب. وفي تلك الآونة كانت الدولة العُثمانيَّة تتخبَّط في مُشكلاتٍ شتَّى، فاستغلَّ الباشا ما تمر به الدولة من اضطراباتٍ واجتاح الديار الشاميَّة وضمَّها إلى مُلكه، واضطرَّت الدولة العُثمانيَّة إلى الاعتراف بِذلك كي يسود السلام أرجاء السلطنة، وبعد أن تدخَّلت الدُول الأوروبيَّة لإقناع مُحمَّد علي بالتوقف عن الزحف شمالًا ناحية إستانبول كي لا يُسقط دولة بني عُثمان الضعيفة ويُقيم على أنقاضها دولة إسلاميَّة قويَّة جديد، تقُضُّ مضاجع أوروبَّا الطامعة في زوال مُلك العُثمانيين كي تقتسم تركتهم إرضاءً لِمطامعها الاستعماريَّة ولِلحيلولة دون زحف الإسلام إلى قلب القارَّة العجوز كما كان الحال خلال ذُروة قُوَّة ومجد الدولة العُثمانيَّة.

عاد حُكم مُحمَّد علي باشا بِفوائد عديدة على الديار الشاميَّة، وفي مُقدمتها المُقاطعات اللُّبنانيَّة، أي مُقاطعات جبل لُبنان، فقد حدَّ من نُفُوذ الإقطاعيين وقوَّى سُلطة الدولة وقضى على استغلال الوُلاة الفاسدين لِلعوام. لكنَّهُ حمل في طيَّاته مخاطر كثيرة، أبرزها أنَّ مُحمَّد علي تعامل مع الشوام كما تعامل مع المصريين، دون تقدير للخواص السُكَّانيَّة والتوازُنات المُرتكزة على التركيبة الطائفيَّة والعشائريَّة لهذه البلاد، وبالأخص في جبل لُبنان الذي يُشكِّلُ موطن العصبيَّتان المارونيَّة والدُرزيَّة، والذي كان مرتعًا لِلنُفُوذ الأوروبي مُنذ نحو قرنين، نتيجة سياسة الامتيازات الأجنبيَّة في الدولة العُثمانيَّة. وقد لعبت الدول الأوروبيَّة دورًا كبيرًا في إذكاء الفتن بين أهل الجبل تحقيقًا لِمصالحها، ولمَّا كان مُحمَّد علي مدعومًا من طرف فرنسا، وفي جيشه العديد من القادة الفرنسيين، فإنَّ ضمَّه الشَّام قوَّى من نُفُوذ هذه الدولة في جبل لُبنان، وبالتالي من نُفُوذ أتباعها من النصارى الموارنة، على حساب الدُرُوز والمُسلمين، ممَّا دفع بباقي الدول الأوروبيَّة وفي مُقدمتها بريطانيا، لِزيادة تدخُّلها في شُؤون الدولة العُثمانيَّة عُمومًا وجبل لُبنان خُصوصًا لِضمان عدم ضياع نُفُوذها لِصالح فرنسا وأمام حاكمٍ قويّ كمُحمَّد علي باشا.

وهكذا استغلَّ الأوروبيُّون الإقليَّات الطائفيَّة طيلة العهد المصري في سبيل الحفاظ على مصالحهم في المشرق العربي، ممَّا أدَّى إلى الإضرار بِالبلاد والعباد، وفي هذه المقالة حاولت تسليط الضوء على المخاطر التي نجمت عن الحُكم المصري لِلمُقاطعات اللُّبنانيَّة نتيجة التدخُّلات الغربيَّة، على أمل أن أكون قد وُفِّقت في هذا المسعى وفي إبراز هذه النُقطة والمرحلة الزمنيَّة المُهمَّة من تاريخنا العربي والإسلامي.

والله وليُّ التوفيق وهو حسبُنا ونعم الوكيل.

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

المبحث الأول: بُزُوغ نجم مُحمَّد علي باشا

يُلاحظ أنَّ التدخُّل الأوروبي في الشُؤون العُثمانيَّة عُمومًا والشَّاميَّة خُصُوصًا خفَّت وتيرته خلال الفترة المُمتدَّة بين انسحاب الفرنسيين من فلسطين (1799م) ومن ثُمَّ مصر (1801م) وُصولًا إلى سُقُوط الإمبراطوريَّة الفرنسيَّة (1815م)، وذلك بسبب انشغال كُل الأُمم الأوروبيَّة بِمُحاربة فرنسا التي تربَّع نابُليون بوناپرت على عرشها وتمكَّن من السيطرة على مُعظم القارَّة الأوروبيَّة وإخضاعها لِحُكمه، وأجرى فيها عدَّة تغييرات حُدُوديَّة وسياسيَّة.

خلال هذه الفترة كانت مصر قد كسبت واليًا جديدًا عيَّنه الباب العالي بُعيد انسحاب الفرنسيين من البلاد، ألا وهو مُحمَّد علي بن إبراهيم القوللي (نسبةً إلى مدينة قولة، المعروفة اليوم بِـ«كاڤالا»، الواقعة ضمن حُدُود اليونان المُعاصرة)، الذي عُرف في ما بعد بِمُحمَّد علي باشا. وكان مُحمَّد علي قد أتى إلى مصر مع جُملة الجُنُود الذين أرسلهم الباب العالي لِمُحاربة الفرنسيين، وشهد واقعة أبي قير، وعيَّنه خسرو باشا[1] الذي عُيِّن واليًا على مصر بعد خُرُوج الفرنسيين بِرُتبة «سرجشمة»، أي قائد فرقة قوامها أربعة آلاف جُندي. وأخذ مُحمَّد علي يستميل قُلُوب الجُند إليه لِلاستعانة بهم عند سُنُوح الفُرصة، كما تمكَّن من استمالة أعيان البلاد إليه حتَّى انتخبوه واليًا على الديار المصريَّة وكتبوا إلى الباب العالي بِذلك، فأصدر فرمانًا يُصادق على هذا الأمر، فوصل مصر في 10 ربيع الآخر 1220هـ المُوافق 8 تمُّوز (يوليو) 1805م (فريد بك، 2006، ص 390 – 391).

عمل مُحمَّد علي باشا على توطيد نُفُوذه في مصر والقضاء على المُنافسين المُحتملين، وفي مُقدِّمتهم المماليك (المعروفين آنذاك بِالمماليك المصريَّة)، المُتحدرين من المماليك البُرجيَّة الشراكسة الذين ثبَّتهم السُلطان سليم الأوَّل في إقطاعاتهم يوم ضمَّ مصر إلى الدولة العُثمانيَّة. ولم يتأخَّر المماليك، بُعيد عودة السُلطان سليم إلى إستانبول، في أن يُصبحوا من جديد الحُكَّام الفعليين لِمصر، مُحاصرين سُلطة الوُلاة العُثمانيين في مُحيط القاهرة حيثُ كانت تُرابط حامية من سبعة أفواج من الإنكشاريَّة. فاستمرَّت سُلطتهم قائمة على البلاد الفلَّاحيَّة والصعيديَّة، وازداد عددهم حتَّى خمسة وعشرون ألفًا، وحافظوا على تركيبتهم الداخليَّة، إذ كانوا تحت قيادة أربعٍ وعشرون أميرًا (بك)، يتولَّى كُلٌ منهم سنجقًا مصريًّا على أساس الحق الإقطاعي، ولِكُلِّ سُنجُقٍ شُرطته وعساكره وهي حاشية الأمير، وكان المنصب الأعلى في السنجق من نصيب مملوكٍ شركسيٍّ على الدوام، وعند موت الأمير كانت حاشيته تنتخب خلفًا له من وسط مماليكه الذين اشتراهم خلال حياته. فبقي الحال كما كان في عصر سلاطين المماليك، مع اختلافٍ في أنَّ الأُمراء المماليك أصبحوا يحكمون مصر باسم السُلطان العُثماني الذي يُمثِّله الوالي في القاهرة (بازيلي، 1988، ص 68).

ولمَّا تولَّى مُحمَّد علي الديار المصريَّة أدرك أنَّ مُلكه يستحيل أن يكون كاملًا ما لم يقضِ على المماليك ويجتثُّهم من جُذُورهم، فدعا أُمراءهم إلى حفلٍ في قلعة الجبل (قلعة صلاح الدين الأيُّوبي) في يوم الجُمُعة 5 صفر 1226هـ المُوافق 1 آذار (مارس) 1811م، فطلع جميع رؤساء المماليك إلى القلعة في موكبٍ مُنتظم، ولمَّا دخلوها من بابها الغربي وانحشروا في المضيق الموصل منهُ إلى الباب الأوسط، أُغلقت الأبواب وأُطلقت الجُنُود عليهم الرصاص من خلف الأسوار ومن أعلاها حتَّى قُتلوا عن آخرهم، ثُمَّ أرسل مُحمَّد علي جُنُوده إلى منازل الأُمراء الذين تخلَّفوا عن الحُضُور فقتلوهم جميعًا، وأرسل إلى عُمَّاله في الأقاليم يأمرهم بِقتل جميع المماليك القاطنين خارج القاهرة، فقتلوهم وصاروا يتنافسون في إرسال رؤوسهم إلى الوالي الجديد، وبِذلك صفا المُلك لِمُحمَّد علي في مصر، وأصبح حاكمها الأوحد (فريد بك، مرجع سابق، ص 407).

---

[1]. **خسرو باشا**: هو خوجة مُحمَّد خسرو باشا، سياسي وعسكري عُثماني. وُلد سنة 1769م وتُوفي سنة 1855م. عُيِّن أميرًا لِلبحار سنة 1792م، وأرسله الباب العالي على رأس ستَّة آلاف جُندي إلى مصر لِمُساعدة الأسطُول البريطاني، ثُمَّ عُيِّن واليًا على مصر لِفترة. وفي أواخر أيَّامه أصبح صدرًا أعظمًا، في خلافة السُلطان عبد المجيد الأوَّل. **انظر**:
Halil Inalcık, *The Encyclopaedia of Islam*, New Ed., Vol. V, Fascicules 79–80, pp. 35

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

شرع مُحمَّد علي باشا بعد ذلك بإنشاء جيشٍ كبيرٍ مُنظَّم وبتحديث مرافق الحياة والمعاش في مصر، مُقتنعًا بِفكرة السُلطان سليم الثالث وإيمانه بِضرورة تحديث الدولة العُثمانيَّة لِلنُهُوض بها من كبوتها ومُواكبة الغرب في تطوُّر وتقدُّمه، ومن المعروف أنَّ أفكار السُلطان سليم هذه أفضت في نهاية المطاف إلى خلعه ثُمَّ مقتله على يد الإنكشاريَّة الذين رفضوا الانصياع لِرغبته وتقليد الغرب، رُغم أنَّ ما دعا السُلطان لِتقليده والاقتباس عنه كان كُل ما هو مُفيد لِعُمُوم المُسلمين، ولم يقصد الانقياد الأعمى وراء الثقافة الغربيَّة. أمَّا مُحمَّد علي فكان قد قضى على مُعارضيه ومُنافسيه في مصر كما أُسلف، وخلا لهُ الجو لِيقوم بالإصلاحات الضروريَّة اللازمة، فانطلق يُحدِّث المرافق الاقتصاديَّة والعلميَّة والثقافيَّة والعسكريَّة في إيالة مصر دون أن يخشى المُقاومة أو الثورة (Cleveland, 2009, p. 57)، فبنى دور الصناعة العسكريَّة لِإنتاج البنادق والمدافع، والمدارس الحربيَّة في القاهرة والأقاليم لِتدريب الجُند على أساليب وتكتيكات الحرب الأوروبيَّة، وشاد ترسانةً بحريَّةً في الإسكندريَّة لِصناعة السُفُن الحربيَّة، فوصل عدد البنادق التي أنتجتها مصانعه إلى حوالي 1,600 بُندُقيَّة في الشهر، كما بلغ عدد سُفُنه قُرابة 100 سفينة مدفعيَّة (Cleveland, ibid, p. 69).

واستعان مُحمَّد علي ببقايا الضُبَّاط الفرنسيين الذين بقوا في مصر بُعيد انتهاء الحملة الفرنسيَّة لِتدريب جُنُوده وبناء جيشه الحديث، وكان في مُقدِّمتهم العقيد جوزيف سيڤ (Joseph Sève) الذي اعتنق الإسلام وتسمَّى بِسُليمان باشا الفرنساوي. وسُليمان باشا المذكور عسكري مُخضرم، قاتل في صُفُوف الجُيُوش الفرنسيَّة خلال عهد نابُليون بوناپرت، وشهد معركتيّ الطرف الأغرّ (1805م) وواترلو (1815م) (Young, 2002, p. 46) والتحق بِخدمة مُحمَّد علي باشا، فسلَّمه نظارة المدرسة الحربيَّة في مدينة أسوان بِصعيد مصر لِيتولَّى تدريب الفرق العسكريَّة السودانيَّة على نُظُم القتال الفرنسيَّة (Fahmy, 2002, p. 88).

المبحث الثاني: توسُّع مُحمَّد علي باشا بِاتجاه الشَّام

خِلال الفترة التي شهدت بُزُوغ نجم مُحمَّد علي باشا وتمكينه قواعد مُلكه في مصر، كان عجز الدولة العُثمانيَّة عن إخماد الثورات التي قامت في وجهها قد أصبح جليًّا، وأخذت تستنجد بِوُلاتها الأقوياء لِإخماد تلك الثورات، ومن أبرز الثورات التي أقضَّت مضاجع الدولة: الحركة الوهَّابيَّة في شبه الجزيرة العربيَّة والثورة اليونانيَّة في المورة.

أمَّا الحركة الوهَّابيَّة فهي أبرز الحركات الإصلاحيَّة التجديديَّة التي ظهرت في الدولة العُثمانيَّة، وأوَّل حركة إصلاحيَّة سلفيَّة في العصر الحديث (عُمر، 1984، ص 211). وتتلخَّص هذه الدعوة في الرُجُوع إلى القُرآن الكريم والسُنَّة النبويَّة الشريفة، والعودة بِالإسلام إلى حالته الأولى النقيَّة والخالية من البدع التي التصقت به عبر القُرُون، فنادت الدعوة الوهَّابيَّة بِمُحاربة البدع المُضللة كزيارة القُبُور وتقديم النُذُور والاستشفاع بالأولياء والصالحين. كما نادت بِمُكافحة الطُقُوس الشركيَّة التي تقول بها بعض الفرق الصوفيَّة، كتقديس الأولياء من الأحياء والأموات، والإيمان بما لهم من قُدرةٍ على الإتيان بِالخوارق والمُعجزات، والاستعانة بهم لِجلب نفعٍ أو دفع ضرر (عُمر، المرجع السابق، ص 214). وقد حقَّقت الدعوة الوهَّابيَّة نجاحًا كبيرًا في نجد وتجاوزتها إلى بعض أنحاء الحجاز وعسير واليمن وأطراف العراق والشَّام. وتمكَّن الوهَّابيُّون من الاستيلاء على مكَّة المُكرَّمة والطائف والمدينة المُنوَّرة (رافق، 1974، ص 341) ممَّا شكَّل خطرًا كبيرًا على الوُجُود العُثماني في بلاد الحرمين الشريفين. ولمَّا كان العادة العُثمانيَّة، مُنذُ انتقال الخلافة إلى بني عُثمان، تقضي بِالاستعانة بِوالي مصر لِلإشراف على شُؤون الحجاز، فقد كلَّف الباب العالي مُحمَّد علي باشا لِحرب الوهَّابيين والقضاء على حركتهم، فحمل عليهم بين سنتيّ 1811 و1815م واستردَّ منهم الكثير من البلاد. وفي سنة 1816م تقدَّم جيش إيالة مصر صوب نجد وأسقط قلاع الوهَّابيين الواحدة تلو الأُخرى حتَّى سقطت بيده مدينة الدرعيَّة، وهي عاصمة الوهَّابيين، سنة 1818م (عُمر، مرجع سابق، ص 309).

أمَّا الثورة اليونانيَّة فقد قامت في بلاد المورة (شبه الجزيرة في جنوب اليونان المُعاصرة، تُسمَّى بالعربيَّة أيضًا «بَلْبُونَس») سنة 1821م لِأسبابٍ مُختلفة، أبرزُها شُيُوع أفكار الثورة الفرنسيَّة في البلاد، والتحريض الروسي المُستمر لِليونانيين وغيرهم من الأقوام الأرثوذكسيَّة، على الثورة ضدَّ العُثمانيين والاستقلال عن الدولة، في سبيل

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

افتعال أزماتٍ بوجه الباب العالي حتَّى يتهيَّأ الجو لِتدخُّلٍ روسيٍّ في البلاد العُثمانيَّة (الشنَّاوي، 1986، ص 837). ولمَّا تأزَّم الوضع، رأى الباب العالي في مُحمَّد علي باشا خيرُ من يقمع تلك الثورة بعد أن أثبت كفاءته العسكريَّة في شبه الجزيرة العربيَّة، فأوعز إليه بِمُهاجمة الثُّوَّار وإخضاعهم بعد أن تفاقم خطرهم، وعيَّنه واليًا على حزيرة إقريطش (كريت) وإقليم المورة (عُمر، 1984، ص 313).

أرسل مُحمَّد علي باشا حملةً عسكريَّةً كبيرةً إلى المورة بِقيادة ابنه إبراهيم تمكَّنت من إخضاع الثُّوَّار وقمعهم حتَّى حين، وأظهرت القُوَّات المصريَّة تفوُّقًا ملحوظًا على عكس العساكر العُثمانيَّة. وكاد إبراهيم باشا أن ينجح بِحملته ويُعيد البلاد اليونانيَّة إلى الطاعة لولا تدخُّل الدُول الأوروبيَّة لِصالح الثُّوَّار، فاتفقت كُلٌّ من المملكة المُتحدة ومملكة فرنسا والإمبراطوريَّة الروسيَّة في مُعاهدةٍ أُبرمت في العاصمة البريطانيَّة لندن، يوم 12 ذي الحجَّة 1242هـ المُوافق 6 تمُّوز (يوليو) 1827م، على فرض هدنةٍ حربيَّةٍ على العُثمانيين وذلك عبر إرسال أسطاليهم إلى مياه المورة لِلحيلولة دون وُصُول السُفُن العُثمانيَّة والمصريَّة إلى شواطئ اليونان والقضاء على الثورة. والتقت الأساطيل الأوروبيَّة الحليفة بِالأسطولين المصري والعُثماني في خليج ناورين (نافارين) واشتبكت معها في معركةٍ طاحنةٍ يوم 30 ربيع الأوَّل 1243هـ المُوافق 20 تشرين الأوَّل (أكتوبر) 1827م، كان من نتيجتها تدمير الأُسطُولين العُثماني والمصري ومُحاصرة قُوَّات إبراهيم باشا في البر اليوناني. ولمَّا رأى مُحمَّد علي باشا أنَّ لا فائدة تُرجى من مُواصلة القتال اتفق مع قناصل الدُول الأوروبيَّة في مصر على الانسحاب من المورة (عُمر، المرجع السابق، ص 314)، وترك لِلباب العالي مُهمَّة إبرام الصُلح مع الغرب، التي كان من نتيجتها الاعتراف بِاستقلال اليونان والتنازل لِروسيا عن بعض الأراضي في آسيا، ممَّا أدَّى إلى توسُّعها على حساب الدولة العُثمانيَّة في القفقاس (طقُّوش، 2008، ص 346).

خرج مُحمَّد علي باشا من الحرب اليونانيَّة دون أن يظفر بِشيءٍ، بل خسر أُسطُوله الكبير الذي أنفق عليه أموالًا طائلة، ولم يعتبر أنَّ توليته جزيرة إقريطش (كريت) كان كافيًا لِتعويضه عن ما خسره ومُكافأته لِما قدَّمه من خدماتٍ جليلةٍ لِلسلطنة. فحوَّل أنظاره إلى الشَّام وطمع في ضمِّها إلى مُلكه في سبيل اتخاذها حاجزًا يقيه الضربات العُثمانيَّة في المُستقبل، لا سيَّما وأنَّ السُلطان محمود الثاني كان قد انتهج سياسةً مركزيَّةً لِتقوية صلة العاصمة بِالإيالات وقصباتها، ممَّا قضى على استقلال الكثير من الحُكَّام المحليين كالمماليك في بغداد، وحدَّ من استقلال مُحمَّد علي الذاتي في مصر (عُمر، مرجع سابق، ص 315). كذلك، أراد مُحمَّد علي باشا استغلال الموارد الاقتصاديَّة لِلشَّام، التي كانت تفتقر إليها مصر، من الخشب والفحم والنُحاس، والاستفادة من الموقع الجُغرافي لِلديار الشَّاميَّة واتصالها بِالأناضول وعلاقاتها التجاريَّة بِآسيا الوسطى حيثُ تمر قوافل التجارة (الرافعي، 1951، ص 248؛ غنَّام، 2018، ص 45).

حاول مُحمَّد علي باشا في بادئ الأمر أن يحصل على الشَّام سلمًا، فطلب من السُلطان محمود أن يجعله واليًا على كافَّة البلاد الشَّاميَّة إضافةً إلى مصر، تقديرًا لِخدماته، ولكن السُلطان رفض طلبه، لِذلك حاول إيجاد مُبرر لِيتدخَّل في شؤون الشَّام، فوجد ضالَّته في ما أقدم عليه عبد الله باشا[2] والي عكَّا، الذي آوى إليه قُرابة ستَّة آلاف فلَّاح مصريّ هجروا ديارهم تخلُّصًا من الخدمة العسكريَّة التي فرضها مُحمَّد علي باشا ومن بعض الضرائب الباهظة (Yazbak, 1998, p. 18)، ولمَّا طالب والي مصر نظيره العكَّاوي بِتسليم الفلَّاحين، رفض الأخير وامتنع، فاتخذ مُحمَّد علي من هذا الرفض سببًا لِاجتياح الشَّام بِالقُوَّة (عُمر، 1984، ص 316).

أرسل مُحمَّد علي باشا جيشًا إلى الشَّام بِقيادة ابنه إبراهيم يوم 7 جُمادى الأولى 1247هـ المُوافق 14 تشرين الأوَّل (أكتوبر) 1831م، فدخل فلسطين وسيطر على مُدنها دون مُقاومةٍ تُذكر، باستثناء عكَّا التي ضرب عليها حصارًا

[2]. **عبد الله باشا**: هو عبد الله باشا بن علي الخزندار. تولَّى عكَّا لِفترتين (1820 – 1822م؛ 1823 – 1832م). استهل عبد الله ولايته بدعم مركزه العسكري ووضعه المالي، فألف فرقة حديثة من المشاة المماليك، وفرض الضرائب على السكان لتمويل خزينته والتقرب إلى الباب العالي. وكان يساعده في ذلك كله الأمير اللبناني بشير الشهابي الثاني. أدت سياسته الضريبية إلى اندلاع الثورة عليه في عموم ولايته، وقد أخمد الثورات بالقمع الشديد. بعد سُقُوط عكَّا اقتيد عبد الله باشا أسيرًا إلى مصر، ثمَّ سُمح له بمغادرتها إلى إستانبول. **انظر**: الموقع الرسمي للموسوعة الفلسطينية https://cutt.ly/JvQJ6VP

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

مُركزًا، وسيطر في أثناء الحصار على مُدن السَّاحل الشَّامي كاملةً التي رحَّبت به واستقبلته استقبال الأبطال (الرافعي، 1951، ص 252 – 253) بعدما تعب الأهالي من جور الوُلاة الذين استغلُّوا مناصبهم، بعدما نخر الفساد الإداري جسد الدولة العُثمانيَّة وضعُفت قُوَّتها العسكريَّة أمام الغرب وعانت من الهزائم المُتكرِّرة، فتاق الناس إلى من ينتشلهم من تلك الأوضاع المُزرية، ووجدوا ضالَّتهم في إبراهيم باشا ووالده مُحمَّد علي. وقد تعاون أمير جبل لُبنان بشير بن قاسم الشهابي[3] مع القائد المصري، وساهم وأبناؤه في قتال من حاول مُقاومة إبراهيم باشا وفي إخضاع البلدات والقُرى، نظرًا لِلصداقة التي كانت تجمع الأمير بشير بِمُحمَّد علي (الصليبي، 1991، ص 59).

لم يلبث إبراهيم باشا أن تمكَّن من عكَّا ودخلها عنوةً في شهر ذي الحجَّة سنة 1247هـ المُوافق لِشهر أيَّار (مايو) سنة 1832م، وأسر واليها عبد الله باشا وأرسله إلى مصر (الرافعي، مرجع سابق، ص 254 – 259). ولم تلبث أن سقطت مدينة دمشق بِيد القائد المصري، وتلتها حمص وحلب وحماة بعد معركةٍ مع الجيش العُثماني في شهر مُحرَّم سنة 1248هـ المُوافق شهر حُزيران (يونيو) سنة 1832م (الشهابي، جـ 3، 2000، ص 1238 – 1239)، ثُمَّ تابع إبراهيم باشا زحفه شمالًا حتَّى دخل الأناضول وسيطر على الإسكندرونة وأضنة وطرسوس، وزحف حتَّى بلغ قونية في قلب آسيا الصُغرى حيثُ قابل الجيش العُثماني مُجددًا وانتصر عليه انتصارًا واضحًا وأسر قائده رشيد باشا[4]، وغنم 46 مدفعًا من أصل 100 كان العُثمانيُّون قد أحضروها معهم من إستانبول، ولم يخسر سوى 792 جُنديًّا مُقابل ثلاثة آلاف جُندي خسرها الجيش النظامي العُثماني (Shams El-Din, 2007, p. 25).

بعد هذا الانتصار، فُتحت طريق جيش مُحمَّد علي إلى إستانبول، وتخوَّفت الدُول الأوروبيَّة من تقدُّم إبراهيم باشا إلى عاصمة الدولة وإسقاط آل عُثمان والاستئثار بِالخلافة، ممَّا يخل بِتوازن القوى في أوروبَّا. وكانت الإمبراطوريَّة الروسيَّة أشد الدُّول قلقًا من احتمال سُقُوط الدولة العُثمانيَّة وعاصمتها إستانبول في قبضة حاكمٍ مُسلمٍ قويّ كمُحمَّد علي باشا، يكون قادرًا أن يُدافع عنها ويحميها من المطامع الأجنبيَّة، ويلعب الدور الذي عجز السلاطين المُتأخرين عن لعبه (فريد بك، 2006، ص 451)، ممَّا يتعارض مع رغبتها بِالحفاظ على السلطنة كما هي في تلك الحالة من الضعف، كما سبق وقرَّرت عقب مُعاهدة أدرنة[5] سنة 1245هـ المُوافقة لِسنة 1829م. أمَّا فرنسا فكانت تُؤيِّد مُحمَّد علي وتُشجِّعه في سياسته التوسُّعيَّة في الشَّام، لكنَّها اضطرَّت أن تتدخَّل وتُقنعه بِالتوقف عن الزحف إلى إستانبول، ودعمتها في ذلك بريطانيا، عندما أنزل الروس على شواطئ الأناضول خمسة عشر ألف جُندي لِدعم الجيش العُثماني، وتحرَّك الأسطول الروسي في مياه العاصمة، ممَّا أفاد بِاحتمال تقوية الروس لِمركزهم في المضائق الاستراتيجيَّة الفاصلة بين البحرين الأسود والمُتوسِّط، فتوسَّطت الدولتان بين مُحمَّد علي

---

[3]. **بشير بن قاسم الشهابي**: يشتهر ببشير الثاني الشهابي أو بشير الكبير. هو سادس أُمراء جبل لُبنان من آل شهاب وأعظمهم شئنًا. تولَّى سنة 1788م وبقي في منصبه حتَّى سنة 1840م. اتصل بأحمد باشا الجزار والي عكَّا فقرَّبه. ولم يزل إلى أن ولَّاه إمارة جبل لُبنان، فكانت له حوادث كثيرة، وعُزل مرَّات، وأُعيد. وكثُر خصومه فقاومهم، حتى قدم إبراهيم باشا فآزره الأمير بشير. ولما انسحب إبراهيم باشا من الشَّام قبض البريطانيون على الأمير بشير، ونفوه إلى مالطة، ثُمَّ التمس الإقامة في إستانبول، فأذن له السُلطان عبد المجيد الأوَّل، فانتقل إلى العاصمة العُثمانيَّة وعاش مُتنقلًا بينها وبين الأناضول لِفترة، إلى أن أدركه الموت بِإستانبول سنة 1850م. **انظر**: الأعلام للزركلي، جـ 2، 2002، ص ٥٧.

[4]. **رشيد باشا**: هو رشيد مُحمَّد خوجة باشا كوشندوق. قائد عسكري وسياسي عُثماني شركسي. تولَّى عدَّة مناصب في الدولة العُثمانيَّة كان آخرها منصب الصدر الأعظم الذي تولَّاه في عهد السُلطان محمود الثاني في 16 ربيع الآخر 1244هـ المُوافق 25 تشرين الأوَّل (أكتوبر) 1828م. كان من أبرز المُشاركين في قتال الثُّوَّار اليونانيين، ثُمَّ إبراهيم باشا عندما حمل على الأناضول. وقع في أسر الأخير بُعيد معركة قونية ثُمَّ أُطلق سراحه. عُزل عن الصدارة العُظمى يوم 27 رمضان 1248هـ المُوافق 16 شُباط (فبراير) 1833م، وتُوفي بِمدينة سيواس بالأناضول سنة 1839م. **انظر**: مجلَّة نارت، العدد 87 – آذار 2008م، ص 28 – 33.

[5]. **مُعاهدة أدرنة**: هي مُعاهدة صُلح أُبرمت بين الدولة العُثمانيَّة والإمبراطوريَّة الروسيَّة يوم 6 ربيع الأوَّل 1245هـ المُوافق 14 أيلول (سبتمبر) 1829م ووضعت حدًّا لِلحرب التي نشبت بين الدولتين بُعيد الثورة اليونانيَّة. وطبقًا لِهذه المُعاهدة، أعاد السُلطان ضمان الاستقلال الذاتي الموعود لِلصرب، واعترف بِاستقلال اليونان، وسمح لِروسيا بِاحتلال البُغدان والأفلاق لِحين دفع الدولة العُثمانيَّة مبلغًا ماليًّا فادحًا لِروسيا لِتعويضها عن خسائرها في الحرب. **انظر**:
John Emerich Dalberg Acton, *the Cambridge Modern History*, p. 2020

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

والسُلطان لِإنهاء الأعمال الحربيَّة، واتُّفق على أن يتراجع إبراهيم باشا إلى ما وراء جبال طوروس، وأن تُعطى لِمُحمَّد علي ولاية مصر طيلة حياته، ويُعيَّن واليًا على إيالات الشَّام الأربع: عكَّا وطرابُلس ودمشق وحلب، وعلى جزيرة إقريطش (كريت)، ويُعيِّن ابنه إبراهيم واليًا على أضنة، فرضي مُحمَّد علي بِهذه التسوية ووقَّع الطرفان اتفاقًا عُرف باتفاقيَّة كوتاهية نسبةً إلى المدينة التي كان بها إبراهيم باشا عند إتمامها، وذلك يوم 14 ذي الحجَّة 1248هـ المُوافق 4 أيَّار (مايو) 1833م (كامل، 2014، ص 62 – 64). وبِذلك انتقلت المُقاطعات اللُبنانيَّة – كما سائر البلاد الشَّاميَّة – إلى حُكم والي مصر الكبير.

المبحث الثالث: المُشكلات والمخاطر التي نجمت عن الحُكم المصري لِلمُقاطعات اللُبنانيَّة

كان حُكم مُحمَّد علي باشا، مُمثلًا بِابنه إبراهيم، في السنوات الأولى بُعيد انتقال إيالات الشَّام إليه، حُكمًا إصلاحيًّا هدف إلى القضاء على التخلُّف والفساد وإصلاح أوضاع البلاد والعباد. وقد نجح إبراهيم باشا في ذلك إلى حدٍّ كبير، فشكَّل في المُدن كُلها مجالس من الوُجهاء المُسلمين والمسيحيين لِلنظر في الشؤون الإداريَّة والمعيشيَّة لِمدينتهم، ونظَّم المحاكم الشرعيَّة والإدارة الماليَّة، وحدَّد أُجور العُمَّال والمُوظفين ومنع الرشوة والبلص، وحدَّد نسبة الضرائب بِوُضُوح، ومنع ابتزاز الأموال الاستبدادي وجمع الغرامات من الناس، وأصلح أوضاع الزراعة والصناعة، وعمَّم التلقيح ضدَّ بعض الأمراض المُستعصية، وفرض الحجر الصحي على المراكب الآتية من الخارج لِلحيلولة دون دُخُول الأوبئة الغريبة إلى البلاد، ونظَّم البريد، وضرب بِيدٍ من حديدٍ على الخارجين عن القانون من قُطَّاعٍ لِلطُرق ولُصُوص، فساد الأمن والأمان (بازيلي، 1988، ص 179 – 186).

وفي الحقيقة فإنَّ حُكم مُحمَّد علي باشا – رُغم ما حقَّقه من فوائد جليلة لِلمُقاطعات اللُبنانيَّة – فإنَّهُ أفضى إلى مخاطر ومُشكلاتٍ مُتعدِّدة، يُحتمل أنَّ مُحمَّد علي أدرك بعضها ولم يُدرك بعضها الآخر، أو رُبما أدركه ولكنَّهُ آمن بِقُدرته على حلِّه أو تطويعه، انطلاقًا من شُعُوره بِقُوَّته وإدراكه تفوُّقه العسكري على الجُيُوش العُثمانيَّة النظاميَّة، ولِأنَّ فرنسا تدعمه وتُؤازره في مساعيه، وتُدافع عنه في المحافل الأوروبيَّة أمام القوى التي تسعى إلى تحجيمه في سبيل الحفاظ على السلطنة العُثمانيَّة الضعيفة واستغلالها لِتحقيق المآرب والمطامع الغربيَّة الاستعماريَّة.

أبرز المُشكلات التي نجمت عن الحُكم المصري لِلمُقتطعات اللُبنانيَّة كانت: ترسيخ الطائفيَّة في نُفُوس الناس، وتقوية مركز فرنسا والغرب في المشرق العربي وتمتين اتصالاتهم بِالقوى والزعامات المارونيَّة والدُرزيَّة. أمَّا بِالنسبة لِترسيخ الطائفيَّة، فمن المعروف أنَّ الدُرُوز كرهوا الحُكم المصري واتخذوا موقفًا سلبيًّا منه ومن الأمير بشير، بينما أحبَّه المسيحيُّون، وذلك لِعدَّة أسباب:

1. كان الأمير بشير قد قضى على أبرز زُعماء الدُرُوز وهو الشيخ بشير جُنبُلاط، الذي كان له دورٌ كبير في دعم الأمير المذكور لِيُصبح حاكمًا لِجبل لُبنان، إذ زوَّده بِالرجال والأموال لِيُطارد سلفه الأمير يُوسُف بن ملحم الشهابي[6] ويُوطِّد نُفُوذه. لكنَّ علاقته مع الأمير تحوَّلت إلى خُصُومةٍ شديدةٍ بِفعل نُفُوذه من جهة وبِفعل علاقاته المتينة مع البريطانيين المُمثلين بِالعميلة لوسي ستانهوپ[7] المُقيمة آنذاك في جبل لُبنان، والتي كانت تدعم

---

[6]. **يُوسُف بن ملحم الشهابي**: هو خامس الأُمراء الشهابيين على جبل لُبنان. خلف عمَّه الأمير منصور بعدما تنازل الأخير طوعًا عن الإمارة وعهد بها إلى ابن أخيه، فحكم البلاد ما بين سنتيّ 1770 و1788م. يُقال أنَّهُ أوَّل من اعتنق المسيحيَّة واتَّبع الملَّة المارونيَّة من آل شهاب. شهد عهده قصف الروس واحتلالهم بيروت وصيدا، كما بزغ نجم أحمد باشا الجزَّار في ذلك الوقت. تنازل عن الإمارة لِصالح نسيبه بشير بن قاسم الشهير ببشير الثاني، وقُتل على يد الجزَّار بِمسعى من الأمير الأخير. **انظر**:

- فيليپ حتِّي، *تاريخ سوريا ولُبنان وفلسطين*، ص 335 – 336، 340.
- William Harris, *Lebanon: A History, 600 – 2011*, p. 119 – 124

[7]. **لوسي ستانهوپ**: هي الليدي هستر لوسي ستانهوپ (Lady Hester Lucy Stanhope)، مُستشرقة وعميلة بريطانيَّة في جبل لُبنان. وُلدت يوم 12 آذار (مارس) 1775م. يذكرها التاريخ بِمُغامراتها وأسفارها في المشرق العربي ودورها الرئيسي في إضرام ثورة الدُرُوز على حُكم مُحمَّد علي باشا. كان لها شبكة جواسيس يعملون في المُدن الشاميَّة الكبيرة، وكانت مُراسلاتها ومُؤامراتها من

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

الزعامات الدُرزيَّة على حساب الإمارة الشهابيَّة (أبو شقرا، 1952، ص 4؛ زيدان، 2012، ص 78، مجلَّة آداب الرافدين، العدد 62، ص 196).

ولمَّا كان الأمير بشير في ضيافة مُحمَّد علي باشا في مصر سنة 1822م، سعى الشيخ بشير جُنبُلاط إلى منع عودته وإلى تنصيب الأمير عبَّاس بن يُوسُف الشهابي بِشكلٍ دائمٍ على كُرسيّ الإمارة الجبليَّة، فلمَّا علم الأمير بشير بِهذا الأمر عند رُجُوعه، ضيَّق الخناق على الشيخ الجُنبُلاطي ثُمَّ زحف على قرية المُختارة، معقل آل جُنبُلاط، فهدم قصر الشيخ بشير وصادر أملاكه في الشوف، ثُمَّ اشتبكا في معركةٍ انتهت بِهزيمة الشيخ وفراره إلى دمشق، فاعتُقل بِمسعى من الأمير بشير وسيق إلى عكَّا حيثُ شُنق على يد الوالي عبد الله باشا نُزولًا عند رغبة الأمير. ولمَّا أُعدم الشيخ بشير أصبح الدُرُوز بلا قائدٍ أو زعيم، ولم يعد هُناك من زعيمٍ دُرزيٍّ فعَّالٍ في البلاد، وضعُفت مكانة الدُرُوز في الإمارة أمام الموارنة، فحنقوا على الأمير الشهابي وأحجموا عن التعاون معهُ ورغبوا بِالثأر لِمقتل زعيمهم (الصليبي، 1991، ص 58 – 59). لِذلك، اتخذ الدُرُوز موقفًا سلبيًّا من القائد المصري على اعتبار أنَّهُ حليف الأمير الشهابي، لا سيَّما وأنَّ إبراهيم باشا كان كُلَّما دخل بلدًا أزال القُيُود المفروضة على اليهود والنصارى، فظهر في نظرهم وكأنَّهُ مُحرر، فانضمُّوا إليه والتفُّوا حوله، فصاروا خُصُومًا في نظر الدُرُوز، حتَّى أفضى هذا الأمر إلى اشتباكاتٍ بين الدُرُوز والموارنة في دير القمر والبقاع والمتن (الصليبي، المرجع السابق).

2. استعان إبراهيم باشا بِالمسيحيين خُصوصًا لِتسيير شؤون المرافق الحيويَّة الشاميَّة، بما فيها اللُبنانيَّة بِطبيعة الحال، فعيَّن حنَّا البحري[8] مُديرًا عامًّا لِلماليَّة، فكان الأخير يُحرِّر إيرادات المُديريَّات الشَّاميَّة ويُرسلها إلى الباشا، فكافأه ومنحهُ لقب «بك»، وصار اسمه مُدير الحسابات ومُنقِّح «الجُرنال» (عن الفرنسيَّة Journal)، أي سجل الأموال الميريَّة (سبانو، [د.ت]، ص 50). وقد جلب حنَّا البحري عددًا من الأقباط المصريين إلى الشَّام لِيُعاونوه في أعمال المُحاسبة (بازيلي، 1988، ص 180) بعدما تمرَّسوا بها في مصر. ولمَّا حاول مشايخ آل نكد الدُرُوز الاتصال بِإبراهيم باشا كي يسعى لدى الأمير بشير كي يُعيد إليهم ما انتزعه منهم من إقطاعاتٍ نتيجة خلافاتٍ سابقة تتعلَّق بِتبعات إعدام الشيخ بشير جُنبُلاط، حال حنَّا البحري بينهم وبين الباشا ومنعهم من مُقابلته أو الإقامة في المُعسكر المصري، وأناط مسؤوليَّة رُجُوعهم إلى إقطاعاتهم بِالأمير بشير نفسه، فأدركوا خُطُورة التحالف المصري الشهابي عليهم كإقطاعيين دُرُوز (بو عماد، 2000، ص 216).

3. فرض مُحمَّد علي باشا ضريبةً جديدةً على المُسلمين والمسيحيين واليهود، عُرف بِضريبة الفردة، وهي ضريبة على الرأس يخضع لها على قدم المُساواة كُل الرجال المُواطنين من كُل الفئات، الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشر والستين. وقد نقم المُسلمون على هذه الضريبة أكثر من غيرهم، وصاروا يقولون لِبعضهم البعض: «يا أخي أُنظر ورقة خراجي»، والقصد أنهم أصبحوا كاليهود والنصارى يدفعون ضريبة الخراج. وحسب المُسلمون والدُرُوز أنَّ الحُكُومة المصريَّة تُكلِّفهم دفع الجزية كأهل الكتاب، فنقموا على تلك الحُكُومة (سبانو، [د.ت]، ص 67). وبِرأيي أنَّ النقمة طالت – ولو في حدٍّ أدنى – المسيحيين، إذ أنَّ عُمُوم المُسلمين وجدوا أنفُسهم لِأوَّل مرَّة مُنذُ قُرُون، خاضعين لِدواوين مشورة يُشكِّل النصارى نصف أعضائها، كما رأوا في دولتهم الجديدة نُفُوذٌ كبيرٌ لِلمسيحيين لم يعتادوه قبلًا.

الشُيُوخ والباشوات مُتصلة. قامت بِحملةٍ لِلبحث عن الكُنُوز المدفونة في مدينة عسقلان وأرادت من الحُكُومة البريطانيَّة دفع تكاليفها، إلَّا أنَّ الحملة لم تعثر على شيء ولم تُعوِّضها الحُكُومة المذكورة. فوجدت نفسها غارقة في الدُيُون. تُوفيت يوم 23 حُزيران (يونيو) 1839م، فدُفنت في مكانها، وقيل أنها كانت عند موتها وحيدة مُفلسة. **انظر**: جريدة القبس، عدد يوم 5 تمُوز (يوليو) 2009، *صورة الليدي الإنجليزيَّة حرَّضت الدُرُوز على الحُكم المصري*، بِقلم حمزة عُليان.

[8]. **حنَّا البحري**: أحد أعلام النصارى الروم الملكيين الكاثوليك الشوام. أصله من مدينة حمص، وقد عمل في خدمة مُحمَّد علي باشا زمنًا طويلًا. أصبح صاحب النُفُوذ الأكبر في إدارة شُؤون الحُكُومة المصريَّة وأحوالها الماليَّة، وكان على جانبٍ كبيرٍ من أصالة الرأي، ووُصف بِالعدل والإنصاف والنزاهة، بِحيثُ كان «يُعامل الرفيع والوضيع مُعاملة لا تفاوت فيها ويُعطي لِكُلِّ ذي حَقٍّ حقَّه... لا فرق عنده بين القوي المُثري والضعيف الفقير أو المُسلم والذِمِّي». **انظر**: ميخائيل مشاقة، *كتاب مشاهد العيان بِحوادث سوريا ولُبنان*، ص 102 – 103؛ بازيلي، *سوريا ولُبنان وفلسطين تحت الحُكم التُركي*، ص 180.

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

ليس معنى هذا أنَّ الدُول الإسلاميَّة السابقة لم يسبق لها استخدام المسيحيين في بعض المناصب المُهمَّة، فالعبَّاسيين كانوا يستعينون بِالنصارى في إدارة دفَّة العُلوم والترجمة (الجاحظ، 1991، جـ 1، ص 316)، والفاطميين استوزروا منهم واستخدموهم في شُؤون المُحاسبة وتحصيل الضرائب (سيِّد، 2016، ص 240)، وفي العهد الطولوني كان منهم عُمَّال الخراج وكُتَّاب الدواوين، وشاركوا في أعمال الشُرطة والمُحافظة على الأمن والنظام في البلاد، وتولُّوا جباية الخراج وجمع الضرائب الأُخرى (جروهمان، 2010، ص 147 – 148). لكن ما اختلف في العصر العُثماني كان اشتداد عود الغرب وحُرُوبه المُتواصلة مع المُسلمين المُمثلين بِالدولة العُثمانيَّة، والمُحاولات الغربيَّة المُتكرِّرة لِاختراق البلاد الإسلاميَّة عن طريق الاستعانة بِالزعامات المحليَّة المسيحيَّة، فلم يطمئن العُثمانيُّون إلى تولية مسيحيٍّ في منصبٍ حسَّاسٍ يُمكِّنُ الغرب من استغلاله، خُصُوصًا في الفترة التي شهدت عجز الدولة وضعفها.

4. سعى إبراهيم باشا بِإيعازٍ من والده مُحمَّد علي، إلى فرض التجنيد الإجباري على الجميع، بِما في ذلك المسيحيين والدُرُوز، فطالب الدُرُوز بِإرسال ألف وسُتمائة من فتيانهم لِلخدمة العسكريَّة، وشاع أنَّهُ ينوي تجنيد ألف وخمسُمائة من النصارى، فرفض الدُرُوز رفضًا قاطعًا، خوفًا على تبدُّل عقيدة أبنائهم فيما لو خدموا في جيشٍ واحدٍ مع مُسلمين، كما رفض المسيحيين هذا الأمر على اعتبار أنَّهم معفيين من أداء الخدمة العسكريَّة وفق ما تنص عليه أحكام الشريعة الإسلاميَّة، وهدَّد البطريرك الماروني بِاللُجوء إلى فرنسا لِتضغط على مُحمَّد علي كي يتراجع عن قراره، وسعى في الوقت نفسه قناصل الدُول الأوروبيَّة في مصر والشَّام لِلحيلولة دون تجنيد النصارى، في حين لم يُحرِّك أحد ساكنًا بِشأن الدُرُوز. ويبدو أنَّ مُحمَّد علي رضخ بدايةً لِرغبة فرنسا والغرب بِإعفاء النصارى من الخدمة العسكريَّة في سبيل استمرار الدعم الفرنسي له، لكنَّهُ قرَّر كسر شوكة الدُرُوز بِسبب عصيانهم، فجنَّد ألفًا منهم واستثنى السُتمائة الباقين، وأمر بِتجريدهم من السلاح عقابًا لهم، فسار إبراهيم باشا في خريف سنة 1835م ومعهُ رجال الأمير بشير وجرَّدوا الدُرُوز من سلاحهم (الصليبي، 1991، ص 63 – 64). أدَّى هذا الأمر إلى إعادة توزيع السلاح على أساسٍ طائفيٍّ، فاشتدَّ عود المسيحيين بينما ضعُف الدُرُوز أمامهم، وأفضى هذا إلى اقتتالٍ طائفيٍّ آخر في دير القمر (الشدياق، 1970، جـ 2، ص 446).

5. لا يُخفى – بِرأيي – أنَّ سياسة التقرُّب من المسيحيين التي انتهجها إبراهيم باشا قد دفعت الأُمراء الشهابيين الذين تنصَّروا سابقًا وكتموا دينهم، ومعهم بعض الأُمراء الدُرُوز، إلى المُجاهرة بِاعتناقهم المسيحيَّة دون الخوف من ردَّة فعل السُلطات، فإن كان إبراهيم باشا ووالده مُحمَّد علي سيرفُضان هذا الأمر، فإنَّ فرنسا التي تقف خلفهما ستُوصي حتمًا بِغض النظر. ولا بُدَّ أنَّ هذه المُجاهرة، وتلك الصفعة التي شعر بها الدُرُوز والمُسلمون قد أثارت المزيد من الاحتقان الطائفي في النُفُوس.

أمَّا بِالنسبة لِتقوية مركز فرنسا والغرب في المشرق العربي وتقوية اتصالاتهم بِالقوى والزعامات المارونيَّة والدُرزيَّة، والآثار السلبيَّة التي لحقت بِالدولة العُثمانيَّة عُمومًا نتيجة هذا الأمر، فمن الواضح أنَّ مُحمَّد علي باشا كان على إدراكٍ تامٍ بِأنَّهُ غير قادر على مُقارعة الدُول الأوروبيَّة والاشتباك مع جُيُوشها وإن كان قد اعتمد أنظمتها العسكريَّة وأصبح جيشه يفوق الجُيُوش العُثمانيَّة النظاميَّة قُوَّةً، لكنَّهُ وإن قرَّر قتال دولةٍ أوروبيَّةٍ لِسببٍ ما، فستتحد تلك الدولة مع غيرها ضدَّه، فهو في النهاية ما زال واليًا يستمد سُلطته من السُلطان العُثماني، خصم الغرب (مُتحدًا) الأوَّل، وطريدته المرجُوَّة، ولن تسمح أوروبَّا لِحاكمٍ مُسلمٍ بِنفخ روحٍ جديدةٍ في جسد الدولة العُثمانيَّة المُتهالكة أو الحُلُول مكانها، ممَّا يحول بين الغرب ونهشه مزيدًا من أقاليم هذه الدولة.

لِذلك، يُلاحظ أنَّ مُحمَّد علي باشا كان يُسايس الغرب ويميل إلى الحُلُول الدبلوماسيَّة بِقدر الإمكان مع الحُكُومات الأوروبيَّة، وقد احتمى بِفرنسا في مُواجهة باقي أوروبَّا، ولا بُدَّ أنَّ سياسة التسامح الديني التي انتهجها مع المسيحيين خُصُوصًا كانت عبارة عن تقديمه أوراق اعتماده لِلغرب لِيعترفوا بِحُكمه في الشَّام التي كانوا يعملون مُنذُ القِدم على التغلغل فيها من خلال استغلال الزعامات المحليَّة، فكان يُظهر ودَّه تجاه الأهالي المسيحيين كي تُطلق أوروبَّا يده في سائر الأُمُور التي يُريدها شرط أن لا يضر بِمصالحها التجاريَّة والاستراتيجيَّة. وما حديثه إلى قُنصل فرنسا في مصر قُبيل انطلاق حملته على الشَّام إلَّا خيرُ دليلٍ على هذا، إذ قال له: «**سينالُ نصارى**

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

الشَّام من الاستقلال والسعادة ما لم يرونه من قبل، وسيقرعون أجراسهم متى شاؤوا. أكِّدوا لِحُكُومتكم ولِمُواطنيكم تحرُّري في هذه الأُمُور» (سبانو، [د.ت]، ص 66).

يُلاحظ أنَّ فرنسا عملت على إظهار مُحمَّد علي باشا بِمظهر المُحرِّر لِشُعُوبٍ «مقموعة»، وأشاعت في الغرب أنَّ إبراهيم باشا إنَّما يسعى لِتحرير الشُّعُوب العربيَّة من السلطنة العُثمانيَّة، وأبعدت عنهُ صفة الوالي والباشا العُثماني، وجعلتهُ مُمثلًا لِعالمٍ عربيٍّ مُستقلٍّ هو عبارة عن اتحادٍ مصريٍّ وشاميٍّ وحجازيّ، وباعثًا لِلوُجُود العربي السياسي (بازيلي، 1988، ص 175). ويظهر أنَّ مُحمَّد علي أوعز لِابنه إبراهيم بِالعمل على إذكاء هذا الكلام، إذ قال الأخير عندما سُئل أثناء حصاره عكَّا، إلى أين سيصل بِفُتُوحاته؟ فأجاب: «إلى حُدُود البلاد التي لا يتكلَّم فيها الناس ويتفاهمون بِاللسان العربي» (خوري وإسماعيل، جـ 1، 1990، ص 60). ويبدو أنَّ باقي الدُّول الأوروبيَّة اعتبرت هذا أمرًا مُمكنًا، إذ قال القُنصل البريطاني في مصر جون باركر[9] أنَّ جيش مُحمَّد علي «**بدأ فعلًا مُهمَّة تحرير الشُعُوب العربيَّة وتوحيدها في إمبراطوريَّةٍ عربيَّة**» (حجَّار، 1976، ص 58).

وبِرأيي أنَّ هذه الدعاية الفرنسيَّة هدفت إلى إظهار مُحمَّد علي بِمظهر المُؤمن بِمثاليَّات وأفكار الحُريَّة والتنوير والمُساواة التي شاعت في أوروبَّا بعد الثورة الفرنسيَّة، لِتمييزه عن السلطنة العُثمانيَّة وجعله خيارًا أفضل منها بِالنسبة لِأوروبَّا والرأي العام فيها، الذي استمرَّ ينظر إلى الدولة العُثمانيَّة على أنها دولة تضطهد المسيحيين والأقليَّات الدينيَّة، وأنها أقل شأنًا من الغرب على كافَّة المُستويات، بينما مُحمَّد علي باشا يُمثِّل القيم الغربيَّة السامية بِنظر أهلها، ولكن بِحُلَّةٍ شرقيَّة، وإنَّ وُجُود مثل هذا الحاكم في هذه المنطقة سيجعل اتصالات فرنسا بِالزعامات المحليَّة، وفي مُقدِّمتها المارونيَّة، أمرٌ سهلٌ لِلغاية.

وفي الحقيقة فإنَّ استعانة مُحمَّد علي باشا بِالمسيحيين الشوام في إدارة شُؤون الدواوين والدوائر الماليَّة كانت خُطوةً ضروريَّةً من جهة أنَّهم على علاقاتٍ وثيقةٍ بِالدُّول الأوروبيَّة وبِقناصلها في بُلدانهم، ويُمكنهم أن ينقلوا إليهم الصورة الحسنة التي يُعاملون بها، لكنَّ هذه السياسة التي اتَّبعها مُحمَّد علي باشا أدَّت إلى زيادة النشاط الغربي وبِالأخص الفرنسي في جبل لُبنان وبيروت وطرابُلس وصيدا، ممَّا أدَّى إلى هُرُوع بريطانيا ومُحاولتها استمالة الأهالي إلى صفِّها كي لا تستحوذ فرنسا على كامل النُفُوذ في المشرق وتُزيح بريطانيا عن دربها. ولا يبدو أنَّ مُحمَّد علي أدرك خُطُورة ازدياد النُفُوذ الفرنسي في بلاده وأنَّهُ يرتكب نفس الخطأ الذي ارتكبه العُثمانيُّون – وكانوا ما يزالون في أوج قُوَّتهم – عندما أعطوا امتيازاتٍ لِفرنسا استغلَّتها لاحقًا عندما ضعُفت الدولة وتضعضعت قُوَّتُها. والفرق بين مُحمَّد علي والسلطنة العُثمانيَّة أنَّ الأخيرة كانت يوم أعطت فرنسا تلك الامتيازات تتعامل معها بِمبدأ الند لِلند أو تتفوَّق عليها في بعض الأحيان، وكان يُمكنها – من حيث المبدأ – إلغاء تلك الامتيازات ساعة تشاء، لكنَّ ثقتها بِنفسها وقُوَّتها العسكريَّة جعلها لا تُقدم على ذلك. بينما لا يظهر من سُلُوكيَّات مُحمَّد علي غير أنَّهُ تعامل مع فرنسا مُعاملة التابع واسع الصلاحيَّة أو مُطلق اليد، فهي من يُحرِّك دفَّة الأُمُور وفق مصالحها، وما دعمها له إلَّا تحقيقًا لِما فشلت بِتحقيقه سلمًا مع العُثمانيين أو من خلال الحملة العسكريَّة بِقيادة نابُليون بوناپرت، ولا ريب أنَّ زوال الدعم الفرنسي عن مُحمَّد علي كان سيُفضي إلى انهياره السريع بِحال قرَّر الغرب كبح طُمُوحه. ومن أبرز صُور ازدياد التغلغل الغربي في المُقاطعات اللُبنانيَّة نتيجة الحملة الفرنسيَّة:

---

[9]. **جون باركر (John Barker)**: هو دبلوماسي بريطاني وُلد في مدينة إزمير يوم 9 آذار (مارس) 1771م، وتلقَّى تعليمه في بريطانيا. التحق بِالسلك الدبلوماسي وعُيِّن سنة 1797م أمين سر (سكرتير) السفير البريطاني في إستانبول. عُيِّن في وقتٍ لاحقٍ قُنصُلًا لِشركة المشرق اللُندنيَّة في حلب ثُمَّ قُنصُلًا لِبلاده في الإسكندريَّة بِتاريخ 28 حُزيران (يونيو) 1826م. عُزل في وقتٍ لاحقٍ بعدما رأت الحُكُومة البريطانيَّة أنَّهُ غير كفؤ في التعامل مع الأزمة القائمة بين مُحمَّد علي باشا والقوى الغربيَّة. تُوفي يوم 5 تشرين الأوَّل (أكتوبر) 1849م. **انظر**:

- Warren Royal Dawson; Eric Parrington Uphill. *Who was Who in Egyptology*, p. 19
- Raymond A. Jones. *The British Diplomatic Service, 1815 – 1914*, p. 200

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

• سمح إبراهيم باشا لِجماعةٍ من الرُهبان الكرمليين[10] ببناء ديرٍ على الجبل القريب من مدينة عكَّا، وكان الوالي السابق عبد الله باشا قد منعهم عن ذلك واستولى على مواد البناء وبنى بها قصرًا له. فاعطاهم إبراهيم باشا الإذن بِهدم القصر واستخدام رُكامه في بناء الديرِ بِحال لم يجدوا كفايتهم من مواد البناء (كربتيس، 1937، ص 157). ولمَّا شاع خبر هذه البادرة ومثيلاتها، تدفَّقت البعثات التبشيريَّة الأوروبيَّة إلى بيروت وطرابُلس وصيدا وجبل لُبنان ومنها إلى الدَّاخل الشَّامي (أنطونيوس، 1987، ص 101).

وكان الإرساليُّون والمُبشرون الغربيُّون يُقدِّمون كافَّة الإغراءات لِلأهالي وفي مُقدِّمتها التعليم والحماية الدُوليَّة لِطائفتهم والمُساعدة الماليَّة، فكان المُبشرون البروتستانتيُّون – الذين لم تسمح لهم السُلطات العُثمانيَّة بِالتبشير في البلاد لِرفض البطاركة والقساوسة الكاثوليك والأرثوذكس ذلك ثُمَّ هرعوا بِمُجرَّد استتباب الأمر لِمُحمَّد علي – يدفعون سبعة غُرُوشٍ يوميَّةٍ لِكُلِّ رجُلٍ مُتزوِّجٍ اعتنق مذهبهم أو لجأ إليهم، مُقابل خمسة غُرُوشٍ لِكُلِّ عازبٍ (الأيُّوبي وباقي، 1932، ص 3422 – 3440؛ Ismail, tome 8, 1976, p. 19)، وقد افتتح المُبشرون عدَّة مدارس إرساليَّة في المناطق والمُدن التي يُشكِّل المُسلمين أغلب سُكَّانها، كما في بيروت، فاستقطبت أعدادًا من التلاميذ من أبناء هذه المُدن (Ismail, tome 9, 1977, p. 49) وقد وصف المُؤرِّخ والباحث الفرنسي دومنيك شوڤاليه (Dominique Chauvelier) النشاط التبشيري القائم آنذاك بِقوله: «الغرب لا مفرَّ منه والشرقُ مُقاوم» (Chauvelier, 1971, p. 258).

وقد أخذت هذه المدارس الإرساليَّة حاملة الجنسيَّات المُختلفة تتنافس فيما بينها على اكتساب الأهالي في صفِّها، وتقاسمت النُفُوذ ظاهريًّا بينما تصارعت باطنيًّا، ومن أبرز الأدلَّة على ذلك أنَّ القُنصل البريطاني في إستانبول ريتشارد وود قدم إلى بيروت سنة 1835م في مُحاولةٍ منه لِإبعاد الأمير بشير الشهابي عن مُحمَّد علي باشا وحليفته فرنسا (الصليبي، 1991، ص 65)، واجتذابه إلى صف بريطانيا، وتعاون مع عددٍ من المُخبرين المحليين مثل إبراهيم مشاقة وإلياس الدحداح وفرنسيس ويُوحنَّا المسك في سبيل التجسُّس على المصريين ونشاطاتهم، وأقام علاقاتٍ مع مجموعةٍ كبيرةٍ من الوُجهاء والشخصيَّات ورجال الدين من الطوائف كافَّة، واستمالهم إلى دولته، وذلك خلال سنةٍ قضاها في الجبل، عمل خلالها أيضًا على إثارة الدُرُوز وتشجيعهم على العصيان ضدَّ الأمير بشير وإبراهيم باشا، وفي الوقت نفسه حاول استقطاب الموارنة إلى صف بريطانيا مُستغلًا مذهبه الخاص، إذ أنَّهُ كان كاثوليكيًّا وليس پروتستانتيًّا كأغلب البريطانيين (الصليبي، المرجع السابق، ص 66).

• أدَّى تهميش الدُرُوز ومُلاحقة الأمير بشير لهم – إمَّا لِلقضاء على أنصار الشيخ بشير جُنبُلاط أو بِإيعازٍ من إبراهيم باشا لِكسر شوكتهم – وتحسُّن أحوال المسيحيين وتفوُّقهم على الدُرُوز إلى ارتماء الزعامات الدُرزيَّة في أحضان البريطانيين الساعين إلى تحجيم النُفُوذ الفرنسي في الشَّام مُمثلًا بِمُحمَّد علي باشا. ويبدو أنَّ هذا التهميش وهذه المُلاحقة أفضت إلى الإضرار بِبعض المسيحيين الذين كانت تربُطهم مصالح اقتصاديَّة وتجاريَّة مع الدُرُوز، وأعتقد أنَّ سعيهم إلى الأمير بشير وإبراهيم باشا لِلحيلولة دون إعاقة مصالحهم لم يَلقَ آذانًا صاغية بِفعل نيَّة القائد المصري تأديب الدُرُوز والتضييق عليهم، ممَّا دفع هؤلاء المسيحيين إلى اللُجُوء إلى وساطةٍ أجنبيَّةٍ لِحلحلة أُمورهم. يُستدل على ذلك من إحدى الرسائل التي بعث بها رجلٌ مسيحيٌّ يُدعى بشارة نصر الله إلى قُنصُل الإمبراطوريَّة الروسيَّة قُسطنطين بازيلي لِلتوسُّط لدى الأمير بشير كي يُخلي بعض الأرزاق المرهونة العائدة لِلشيخ عبَّاس أبي نكد، الذي تجمعهُ مصلحة مع بشارة نصر الله المذكور، ونصُّها بِأخطائه اللُغويَّة (زهر الدين، 2007، ص 321):

«قُسطنطين بازيلي قُنصُل دولة المسكوب[11] الأفخم أدام الله بقاه،

«غب تقبيل أياديكم والدُعا بِدوام بقاكم المعروض ليس منَّا في شريف علمكم أنَّهُ لنا عند جناب الشيخ عبَّاس نكد مبلغ ثمانية وأربعين ألف غرش وكُسُور شركة فيما بيننا وبين عمِّنا الخواجة إبراهيم مشاقة بِدير القمر وبين الأخ

---

[10]. **الرهبنة الكرمليَّة**: أو **الآباء الكرمليين**، هي رهبنة كاثوليكيَّة تأسَّست في بيت المقدس سنة 1209م. **انظر**: يعقوب، *يا أخوتنا الكاثوليك، متى يكون اللقاء؟*، ص 266

[11]. المسكوب والمسكوبيَّة هو تحريفُ «موسكوف» و«موسكوڤيَّة» (بالفاء المُثلَّثة)، ويُقصد بها أهل مدينة أو إمارة موسكو، واستُخدمت لِلإشارة في فترةٍ من الفترات إلى الروس ككل. وسبب كتابتها بِهذا الشكل هو عادة استبدال لفظ الـ«V» بِالعربيَّة بِالباء، كما في حالة بلنسية التي يلفظها الغربيُّون «ڤلنسية»، و«أڤينيون» التي كتبها العرب ولفظوها «أبينيون».

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

الخواجة يعقوب أبيلا في بيروت، كُلٌ منَّا بِحق الثُلث، وقد استرهنَّا تحت هذا المبلغ محلَّات ملك جناب الشيخ المذكور بِمُوجب حجَّة شرعيَّة معلَّم عليها جناب قاضي ومُفتي بيروت، ومنطوق الحجَّة المذكورة أنَّ المحلَّات المرقومة تبقى بِيدنا ونأخذ غلالها من أصل مالنا، فنحن قد وكَّلنا أحدنا الخواجة إبراهيم مشاقة بِهذه الرهينة، وأنَّه يستلم الغلال، وكلَّما جهز شيء يُعرِّفنا عنه تعرفة خاطرنا به، وهكذا قد تم.

والخواجة مشاقة وضع يده على المحلَّات لأجل أخذ الغلال، فمن مرَّة أكم يوم حضر لنا تعريف منه أنه جاهز لنا وإلى الخواجة يعقوب أبيلا زيت مبلغ أربعة عشر قنطار بِالتقريب، وطلب خاطرنا بشانهم، فنحن جاوبناه أنه يودولنا الزيت المذكور لِدير القمر لِيد الخواجة إلياس صوصة وعرَّفنا الخواجة صوصة المذكور أنَّه يستلم لنا الزيت المرقوم ويُباشر في طبخة صابون ويشتري ما يلزم لِذلك من قلو وحطب وخلافه، وقد استورد هذا الزيت ووضعه في المصبنة والآن حضر لنا منه كتاب يُخبرنا أنَّ الخواجة إبراهيم دوماني أحضر أمر من سعادة الأمير الأفخم بأن هذا الزيت يُحجز له بِدعواه أنَّ له دراهم عند جناب الشيخ عبَّاس أبو نكد، وقد حجز الزيت حقنا مع أنه بكل الشرايع المصرفيَّة والمدنيَّة ما له حق لا أحد ياخذ من غلَّة الأرزاق المرهونة عندنا إلَّا لحين نحن نستوفي مالنا حكم الحجَّة التي بيدنا، وإن يكن له دين عند الراهن.

ومعلوم سعادتكم بواصطة حجزه الزيت يحصل لنا ضرر عظيم بسبب توقيف طبخ الصابون ويتلف وما نحن مشترينه لِهذه المصلحة، وعبدكم أنه لولا الشيخ المذكور كان حايط علمه الشريف الحجَّة التي بيدنا فلم كان سمح بإعطاء أمر إلى الخواجة دوماني حسبما ذكر ومن حيث الحالة هذه، ونحن من جُملة خدمكم ومن يلوذ بِسعادتكم. اقتضى تقديم هذه الأعرض لديكم الذي به نسترحم من مكارمكم، تُحرروا لِسعادة الأمير الأفخم بأن يأمر الخواجة إبراهيم دوماني يرفع قارشه عن الزيت حقنا، وعن غلَّة الأوراق المذكورة المرهونة عندما حكم منطوق الحجَّة التي بيدنا،

والأمر أمركم أفندم

في 18 ك1 سنة 1840 بشارة نصر الله»

توضح هذه الرسالة في طيَّاتها مدى تغلغل القوى الأوروبيَّة في المُقاطعات اللُّبنانيَّة آنذاك ومدى تدخُّلها بِالشُؤون الكبيرة والصغيرة، فإبراهيم مشاقة المذكور في الرسالة سبق وأن ظهر بِأنَّهُ كان من عُملاء البريطانيين في جبل لُبنان، وقد وصفهُ المُرسل بِأنَّه عمُّه، والآن ابن الأخ يُراسل الروس لِيستعين بهم على قضاء حاجاته، فلا يُستبعد – برأيي – أن يكون عُملاء البريطانيين في المُقاطعات اللُّبنانيَّة على صلةٍ بِالروس أيضًا، لا سيَّما وأنَّ كُلًا من الروس والبريطانيين كانوا قد عقدوا العزم، بِحُلُول هذه الفترة، على تحجيم مُحمَّد علي باشا في مصر والحفاظ على كيان السلطنة العُثمانيَّة، بعدما اندلعت الحرب مُجدَّدًا بين السلطنة ووالي مصر، وتمكَّن إبراهيم باشا من إفناء الجيش العُثماني في معركة نصيبين يوم 2 ربيع الآخر 1255هـ المُوافق 15 حُزيران (يونيو) 1839م (الرافعي، 1951، ص 315)، وصودف أن يتوفَّى السُلطان محمود الثاني في تلك الفترة الحرجة، ويتولَّى ابنه عبد المجيد العرش وهو صبيٌّ لم يبلغ الثامنة عشرة من عُمره (فريد بك، 2006، ص 455)، وانضمَّ الأُسطُول العُثماني طواعيَّةً إلى الأُسطُول المصري في الإسكندريَّة[12]، فأصبحت الدولة العُثمانيَّة على شفير الانهيار، واضطرَّت الدول الأوروبيَّة إلى إعادة النظر في الأزمة بين والي مصر والسلطنة كون سُقُوط الدولة العُثمانيَّة سيُؤثر على التوازن الأوروبي بِعامَّة. فهرعت روسيا لِفرض حمايتها على السلطنة، وجاهرت بريطانيا بِعدائها لِمُحمَّد علي باشا، وأعلنت وُجُوب الحفاظ على كيان الدولة العُثمانيَّة خوفًا من سيطرة مُحمَّد علي الكاملة على طريق الهند وثُغُور البحر الأحمر والخليج العربي (بازيلي، 1988، ص 249).

[12]. سبب انضمام الأُسطُول العُثماني إلى الأُسطُول المصري هو أنَّ أمير البحار أحمد فوزي باشا كان يُمني نفسه بِمنصب الصدارة العُظمى مُنذُ أن علم بِوفاة السُلطان محمود الثاني. إلَّا أنَّهُ لمَّا علم بِإسناد المنصب إلى غريمه خسرو باشا، الذي كانت بينهما عداوة شديدة، وأنَّ هذا الأخير أصدر أمره بِعدم تحرُّك الأُسطُول من قواعده، وأنَّهُ سيعمد إلى إبعاده، بعدما كان سنده الوحيد هو السُلطان، أيقن أنَّهُ هالكٌ لا محالة، فآثر اللُجُوء إلى مُحمَّد علي باشا خصم خسرو باشا اللدود، مُقدِّرًا أنَّ وضعه سيكون أفضل ممَّا لو بقي مع أُسطُوله في قواعده. **انظر**: هلا سُليمان، *أثر الحملة المصريَّة على بلاد الشَّام*، ص 388.

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

اتفقت كُلٌ من المملكة المُتحدة والإمبراطوريَّتان الروسيَّة والنمساويَّة ومملكة بروسيا، في مُعاهدةٍ أُبرمت في لندن بِتاريخ 15 جُمادى الأولى 1256هـ المُوافق 15 تمُّوز (يوليو) 1840م، وصادقت عليها الدولة العُثمانيَّة، أن يكون لِمُحمَّد علي باشا الولاية الوراثيَّة في مصر وعكَّا فقط شريطة قُبُوله هذا العرض خلال مُدَّةٍ لا تتجاوز عشرة أيَّامٍ من تاريخ تبليغه القرار، وأن يُخلي كُل قُوَّاته في ما بقي من الشَّام وكُل بلاد الحجاز وإقريطش (كريت) ويُعيد لِلسلطنة أُسطولها، وإن لم يقبل بِهذا خلال الفترة المذكورة، يُعزل عن ولاية عكَّا وتكون لهُ الولاية الوراثيَّة في مصر فقط، ويُمهل عشرة أيَّامٍ أُخرى لِقُبُول هذا الأمر، فإن لم يقبل خِلال هذه المُدَّة يُعزل عن مصر أيضًا. كما فُرض عليه الاعتراف بِأنَّ جُيُوشه وأُسطُوله إنما هي جُزءٌ من القُوَّات البريَّة والبحريَّة العُثمانيَّة. وجعلت بريطانيا والنمسا لِنفسها الحق في دعم الشوام في الاستقلال عن حُكم مُحمَّد علي والعودة إلى كنف الدولة العُثمانيَّة (طقُّوش، 2008، ص 366 – 267).

ويظهر أنَّ البريطانيين حاولوا الإيقاع بين الأمير بشير ومُحمَّد علي باشا مُدركين أنَّ الأمير الشهابي فقد سيطرته على الأُمُور في البلاد، وطالبوه بِإعادة المشايخ والأُمراء الدُرُوز من الذين ثاروا على الحُكم المصري ثُمَّ اعتقلهم إبراهيم باشا وأرسلهم إلى مصر، إلى ديارهم في جبل لُبنان، وهدَّدوه تهديدًا مُخفَّفًا بِعاقبة الأُمُور إن لم يأمر بِانسحاب جُيُوشه من الشَّام. يُستدلُّ على ذلك من إحدى الرسائل التي أرسلها أمير البحار البريطاني تشارلز نابيير (Charles Napier)[13] إلى ناظر خارجيَّة إيالة مصر بوغوص بك[14]، وقال بها:[15]

«إلى فخامة بوغوص يُوسُف بك، من على متن سفينة جلالتها، پاورفُل[16]،
«الإسكندريَّة، 23 تشرين الثاني (نوڤمبر)،
«تصلُك الرسالة هذه بِيد القُبطان عمانوئيل، وهو من جُملة الأصدقاء القُدامى لِجلالة مُحمَّد علي. وقد كلَّفته أن يرجو جلالته كي يُرجع الأُمراء والمشايخ اللُبنانيين الذين أرسلوا إلى الإسكندريَّة خِلال شهر تمُّوز (يوليو) بِأمر السُلطات القائمة بِالشَّام.
«إنَّ أغلب هؤلاء التُعساء أُلقي القبض عليهم لِمُجرَّد الشك بِأنهم ينوون

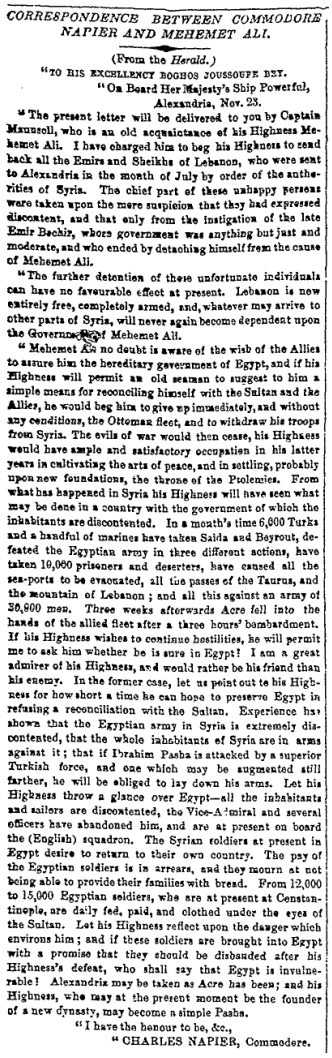
CORRESPONDENCE BETWEEN COMMODORE NAPIER AND MEHEMET ALI.

(From the *Herald.*)

"TO HIS EXCELLENCY BOGHOS JOUSSOUFF BEY.

"On Board Her Majesty's Ship Powerful, Alexandria, Nov. 23.

"The present letter will be delivered to you by Captain Msuzzoli, who is an old acquaintance of his Highness Mehemet Ali. I have charged him to beg his Highness to send back all the Emirs and Sheikhs of Lebanon, who were sent to Alexandria in the month of July by order of the authorities of Syria. The chief part of these unhappy persons were taken upon the mere suspicion that they had expressed discontent, and that only from the instigation of the late Emir Bachir, whose government was anything but just and moderate, and who ended by detaching himself from the cause of Mehemet Ali.

"The further detention of these unfortunate individuals can have no favourable effect at present. Lebanon is now entirely free, completely armed, and, whatever may arrive to other parts of Syria, will never again become dependent upon the Government of Mehemet Ali.

"Mehemet Ali no doubt is aware of the wish of the Allies to assure him the hereditary government of Egypt, and if his Highness will permit an old seaman to suggest to him a simple means for reconciling himself with the Sultan and the Allies, he would beg him to give up immediately, and without any conditions, the Ottoman fleet, and to withdraw his troops from Syria. The evils of war would then cease, his Highness would have ample and satisfactory occupation in his latter years in cultivating the arts of peace, and in settling, probably upon new foundations, the throne of the Ptolemies. From what has happened in Syria his Highness will have seen what may be done in a country with the government of which the inhabitants are discontented. In a month's time 6,000 Turks and a handful of marines have taken Saida and Beyrout, defeated the Egyptian army in three different actions, have taken 10,000 prisoners and deserters, have caused all the sea-ports to be evacuated, all the passes of the Taurus, and the mountain of Lebanon; and all this against an army of 30,000 men. Three weeks afterwards Acre fell into the hands of the allied fleet after a three hours' bombardment. If his Highness wishes to continue hostilities, he will permit me to ask him whether he is sure in Egypt? I am a great admirer of his Highness, and would rather be his friend than his enemy. In the former case, let us point out to his Highness for how short a time he can hope to preserve Egypt in refusing a reconciliation with the Sultan. Experience has shown that the Egyptian army in Syria is extremely discontented, that the whole inhabitants of Syria are in arms against it; that if Ibrahim Pasha is attacked by a superior Turkish force, and one which may be augmented still farther, he will be obliged to lay down his arms. Let his Highness throw a glance over Egypt—all the inhabitants and sailors are discontented, the Vice-Admiral and several officers have abandoned him, and are at present on board the (English) squadron. The Syrian soldiers at present in Egypt desire to return to their own country. The pay of the Egyptian soldiers is in arrears, and they mourn at not being able to provide their families with bread. From 12,000 to 15,000 Egyptian soldiers, who are at present at Constantinople, are daily fed, paid, and clothed under the eyes of the Sultan. Let his Highness reflect upon the danger which environs him; and if these soldiers are brought into Egypt with a promise that they should be disbanded after his Highness's defeat, who shall say that Egypt is invulnerable! Alexandria may be taken as Acre has been; and his Highness, who may at the present moment be the founder of a new dynasty, may become a simple Pasha.

"I have the honour to be, &c.,

"CHARLES NAPIER, Commodore.

الشكل 1رسالة تشارلز نابيير إلى مُحمَّد علي باشا

[13]. **تشارلز نابيير**: اسمه الكامل السير **تشارلز جون نابيير** (Sir Charles John Napier). هو ضابط بحري بريطاني أمضى قُرابة ستين سنة في خدمة البحريَّة الملكيَّة حتَّى أصبح أمير البحار في المملكة المُتحدة. وُلد في بلدة فالكيرك الاسكتلنديَّة يوم 6 آذار (مارس) 1786م. خاض عدَّة حُرُوب في حياته، أبرزها حرب سنة 1812 بين المملكة المُتحدة والولايات المُتحدة الأمريكيَّة، وقاتل في الحُرُوب النابُليونيَّة، وفي حرب الشَّام ضدَّ مُحمَّد علي باشا، وفي حرب القرم. تُوفي يوم 6 تشرين الثاني (نوڤمبر) 1860م. **انظر**: Edward Elers Napier، *Life and Correspondence*, Vol. I, pp. 12, 312, 363-67, 372.

[14]. **بوغوص بك**: هو **بوغوص بك يُوسُفيان**، وُلد في أزمير سنة ١٧٦٨م وتثقَّف في مدارسها حتى برع في اللُغات الأرمنيَّة والتُركيَّة واليونانيَّة والإيطاليَّة والفرنسيَّة تكلُّمًا وكتابة. قدِم إلى مصر سنة ١٧٩٠م واشتغل في بعض مصالح الجمرك. أدَّت بعض الظُرُوف إلى احتكاكه بِالوالي مُحمَّد علي باشا الذي لاحظ مهارته وكفائته في المجال المالي، فأصبح موضع ثقة مُحمَّد علي ومرجع مشورته، ولمَّا نظَّم مُحمَّد علي حُكومته، وأنشأ فيها النظارات ولَّاه نظارة الخارجيَّة والتجارة، فقضى في ذلك المنصب نحوًا من عشرين سنة، إلى أن أدركه الموت سنة ١٨٤٤م. **انظر**: جُرجي زيدان، *تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر*، جـ 1، ص 243 – 245.

[15]. هذا تعريبي الخاص لِنص الرسالة كما ورد في جريدة تايمز لندن (The Times of London)، عدد يوم السبت 18 نيسان (أبريل) 1840م.

[16]. **جلالتها** أي الملكة ڤيكتوريا، ملكة بريطانيا وأيرلندة، و**پاورفُل (Powerful)** هو اسم السفينة التي كان يقودها أمير البحار تشارلز نابيير.

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

على العصيان، وذلك بتحريض من الأمير السابق بشير، الذي كان حُكمه بعيدًا كُل البُعد عن العدل والاعتدال، ولم ينتهِ إلَّا بعدما خلع نفسه من طاعة مُحمَّد علي.

«إنَّ استمرار عقاب هؤلاء المساكين لم يعد من ورائه طائل في الوقت الراهن. لقد تحرَّر لُبنان بالكامل، وجميع أهاليه يمتشقون السلاح، ومهما يكن ما سيحلُّ بالشَّام، فمن المُؤكَّد أنها لن تعود تحت حُكم مُحمَّد علي مُجدَّدًا.

«لا شكَّ أنَّ مُحمَّد علي يُدرك رغبة الحُلفاء ضمان ولايته الوراثيَّة لِمصر، وإن كان جلالته يسمح لِسياسيٍّ قديمٍ أن يقترح عليه طريقةً كي يتصالح مع السُلطان والحُلفاء، فإنني أتوسَّل إليه كي يستسلم فورًا دون قيدٍ أو شرط، ويُعيد الأُسطول العُثماني، ويسحب جُنُوده من الشَّام. حينها ستتوقَّف شُرُور الحرب، ويُمكن لِجلالته أن يُمضي سنواته الأخيرة مُشتغلًا بِأُمُور السلام، ورُبما يعمل على إرساء قواعد عرش البطالمة على أُسُسٍ جديدةٍ.

«لا بُدَّ أنَّ جلالته أدرك من خلال التجربة الشَّاميَّة، ما يُمكن أن يحدث في البلاد عندما يكون الناس غير راضين عن حُكُومتهم. في غُضُون شهرٍ فقط، استولى 6000 عُثماني مع حفنةٍ من البحَّارة على مدينتيّ صيدا وبيروت، وهزموا الجيش المصري في ثَلاثة مواقع مُختلفة، وأسروا عشرة آلاف جُنديّ وفار، وأجبروا جميع حاميات الثُغُور البحريَّة على الجلاء عنها، وسيطروا على جميع معابر جبال طوروس ولُبنان؛ كُل هذا وهم في مُواجهة ثلاثين ألف عسكري.

«وبعد ثلاثة أسابيع سقطت عكَّا في أيدي أساطيل الحُلفاء بعد قصفٍ مدفعيٍّ دام ثلاث ساعات. بحال قرَّر جلالته مُتابعة الأعمال الحربيَّة، فعليه أن يسمح لي بِسُؤاله عمَّا إذا كان واثقًا من نفسه كي يبقى في منصبه بِمصر؟ إنني أكُنُّ إعجابًا شديدًا لِجلالته، وأُفضِّلُ أن أكون صديقه لا عدُوَّه. إن قرَّر جلالته مُتابعة الحرب، إسمح لي بِسُؤاله: إلى أي مدى يعتقد بِقُدرته على الاحتفاظ بِمصرٍ وهو يرفض الصُلح مع السُلطان؟ أظهرت التجربة أنَّ الجيش المصري في الشَّام غير راضٍ بتاتًا عن مسار الأُمُور، وأنَّ الناس كُلَّهم امتشقوا السلاح ضدَّه؛ فإن هوجم إبراهيم باشا من قِبل جيشٍ عُثمانيٍّ كبيرٍ، ودُعم هذا الأخير بِجيشٍ آخر، فسيضطر مُرغمًا إلى تسليم سلاحه.

«فليُلقِ جلالته نظرةً عابرةً على مصر، ليرى كيف أنَّ الأهالي والبحَّارة أجمعين غير راضين، وكيف أنَّ قائد أساطيله تخلَّى عنه بِرفقة عددٍ من الضُبَّاط، وأصبحوا الآن على متن السُفُن الإنكليزيَّة، وكيف أنَّ الجُنُود الشوام العاملين في مصر يتوقون لِلعودة إلى أوطانهم.

«مُرتَّبات الجُنُود المصريين ضئيلة، وهم يشتكون لِعدم قُدرتهم على تأمين الخُبز لِعائلاتهم، أمَّا أولئك الذين أُخذوا إلى القُسطنطينيَّة، المُتراوح عددهم بين 12000 و15000 نفر، فإنَّهم يُطعمون كُلَّ يوم، ويُكسون، وتُدفع لهم مُرتَّبات جيِّدة، تحت أعيُن السُلطان الساهرة. فليأخذ جلالته المخاطر التي تُحيطه بِعين الاعتبار، فلو عاد هؤلاء الجُنُود إلى مصر وسُرِّحوا من الخدمة العسكريَّة بعد هزيمته، فمن عساه حينها يقول أنَّ مصر قادرة على الصُمُود؟ حينها ستسقط الإسكندريَّة كما سقطت عكَّا، وسيُصبح جلالته مُجرَّد باشا عاديّ، عوض أن يكون مُؤسس سُلالة مُلوكيَّة جديدة.

وتفضَّلوا بِقُبُول فائق الاحترام، تشارلز نابيير، العميد البحري»

نشط عُملاء الغرب في المُقاطعات اللُبنانيَّة خلال هذه الفترة وهم يُحرِّضون الناس على الثورة ضدَّ إبراهيم باشا والأمير بشير، وزودوهم ببعض الذخائر والأسلحة، وأبلغوهم باتفاق العُثمانيين والبريطانيين والبروسيين والروس والنمساويين على استخلاص الشَّام وردِّها إلى كنف الدولة العُثمانيَّة (الشهابي، 2000، جـ 3، ص 1252 – 1253)، وسُرعان ما تعاظمت الثورة ضدَّ الحُكم المصري، بعد أن كانت النقمة شديدة طيلة فترة جرَّاء الضرائب الباهظة التي فرضها إبراهيم باشا بِسبب ما أملته عليه مصاريف الحرب، واشتبك الثُوَّار مع القُوَّات المصريَّة، وفي 13 رجب 1256هـ المُوافق 9 أيلول (سبتمبر) 1840م ظهر الأسطُول البريطاني أمام بيروت وقصفها لإخراج القُوَّات المصريَّة منها، وتعاظمت الثورة وتمكَّنت القُوَّات البريطانيَّة والعُثمانيَّة من التغلغل بِقلب البلاد وأجبرت إبراهيم باشا على الانسحاب بِجيشه، فاضطرَّ مُحمَّد علي باشا إلى الإذعان لِرغبة القوى العُظمى لا سيَّما بعدما تبيَّن لهُ أنَّ فرنسا لن تخوض حربًا مع كامل أوروبَّا لِأجله، فأمر بِالجلاء عن الشَّام مُقابل ضمان ولايته الوراثيَّة لِمصر.

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

الخاتمة

في خاتمة هذا العرض الموجز الذي ارتشفت فيه من معينٍ نضبِ المحتوى والمتناوِل لموضوع الاستنباط وأخلصُ إلى جملة من النتائج، ودونكم أهمها إجمالًا:

النتائج

أصبحت البلاد اللُّبنانيَّة مرتعًا لِلعُملاء والجواسيس الأوروبيين خِلال العهد المصري، الذين استغلُّوا سياسة التقرُّب من المسيحيين التي اتبعها مُحمَّد علي باشا لِتحقيق مصالح دُولهم في المشرق العربي. فكان التغلغل هذه المرَّة أسوأ وأشد بِكثير عمَّا كان عليه زمن حُكم الوُلاة العُثمانيين، بل كان علنيًّا إلى حدٍّ كبير. ويبدو أنَّ الباب العالي أدرك بِمُجرَّد عودته إلى حُكم هذه المنطقة أنَّ عليه تشديد قبضته مرَّة أُخرى والعمل على الحد من النُّفُوذ الغربي بِقدر الإمكان، فسعى إلى إقامة حُكم عُثماني مُباشر في جبل لُبنان، بعد مُغادرة الأمير بشير الشهابي لِلبلاد خوفًا من شر العاقبة كونه كان تابعًا لِمُحمَّد علي باشا وفق رؤية السلطنة. ومن المعروف أنَّ الزعامات المارونيَّة عارضت هذا الأمر، وغالبًا كان ذلك بِإيعازٍ من فرنسا لِما قد يعنيه هذا من تحجيمٍ لِلدور السياسي الماروني في ظل حاكمٍ عُثمانيٍّ يتبع الباب العالي مُباشرةً، عكس الإمارة التي كان لِلمُستشارين الموارنة دورٌ فعَّالٌ فيها، وممَّا لا شكَّ فيه أيضًا أنَّ فرنسا لم تكن على استعدادٍ كي تفقد مُكتسباتها ومُكتسبات أتباعها التي جنتها في ظل الحُكم المصري، الأمر الذي أذكى نيران الفتنة الطائفيَّة في الجبل، خاصَّةً وأنَّ الدُّرُوز تخوَّفوا من ازدياد قُوَّة الموارنة على حسابهم بعدما أصبحوا أقل قُوَّة عمَّا كانوا عليه قبل العهد المصري.

إنَّ التوازُنات والأحلاف العائليَّة الإقطاعيَّة العابرة لِلطوائف في جبل لُبنان كانت سريعة العطب فيما لو تدخَّلت قُوَّة خارجيَّة لا عهد لها بِالبلاد وخُصُوصيَّاتها، لِذلك ما أن انتقلت السيادة على الشَّام، بما فيها المُقاطعات اللُّبنانيَّة إلى مُحمَّد علي باشا، الذي اعتقد أنَّ بِإمكانه حُكم الشَّام كما يحكم مصر، دون أن يأخذ بِعين الاعتبار الاختلافات والخلافات والعصبيَّات المذهبيَّة، أدَّى هذا إلى شرخٍ طائفيٍّ في البلاد، زاده سوءًا النُّفُوذ الفرنسي الواضح في دولة مُحمَّد علي، الذي أدَّى إلى إعلاء شأن القوى والزَّعامات المارونيَّة وتحجيم نظيرتها الدُّرزيَّة والمُسلمة، فكان ذلك وقود الفتن الطائفيَّة التي وقعت لاحقًا في جبل لُبنان وبعض البلاد الشَّاميَّة المُجاورة.

إنَّ مُلاحقة الأمير بشير لِلأُمراء الدُّرُوز واضطهادهم يظهر أنها كانت عبارة عن سلسلةٍ من الإجراءات التي اتخذها لِلانفراد بالسُلطة من جهة، ولِتقليص الدور البريطاني في البلاد الخاضعة لِحُكمه من جهةٍ أُخرى. ويُلاحظ أنَّ هذا الأمر بدأ بُعيد عودته من مصر حينما كان في ضيافة مُحمَّد علي باشا، فقاتل الشيخ بشير جُنبُلاط وأعدمه في نهاية المطاف، حارمًا البريطانيين من أبرز أصدقائهم في جبل لُبنان، ولا يُستبعد أن يكون الأمير قد بدأ بِتطهير البلاد من المُتعاملين مع بريطانيا أو تضييق الخناق عليهم كي لا تعمل الأخيرة على استغلالهم ضدَّ مصالح مُحمَّد علي المدعوم من فرنسا، والذي سيُؤدي ضمّه لِلشَّام إلى تقوية نُفُوذ فرنسا على حساب بريطانيا في المشرق العربي.

إنَّ حُكم مُحمَّد علي باشا لِلشَّام، وإن كان إصلاحيًّا، لكنَّهُ أخلَّ بِالتوازُنات السياسيَّة الطائفيَّة القائمة في البلاد. وأساس البُغض والكراهيَّة التي انتشرت ضدَّ الحُكم المصري كان مسألة الضرائب الباهظة، وتلك كان استمرار الحرب مع السُلطان العُثماني سببًا في فرضها، وما كان استمرار الحرب لِيدوم لولا التدخُّلات الأوروبيَّة التي حالت دون تفاهم السُلطان ووالي مصر أو دون انتصار مُحمَّد علي، فدعمت هذا ضدَّ ذاك وحالت دون فرض واقعٍ جديدٍ في الدولة العُثمانيَّة، رُبَّما كان نفخ فيها روح التجديد أو أقام دولةً مُسلمةً جديدةً قويَّة على أنقاضها، فخسر الطرفان بِشكلٍ أو بِآخر، وعلى المدى البعيد خسر كُلٌّ منهما، وكانت أوروبَّا هي الكاسب الأكبر.

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

المصادر

1. أبو شقرا، يُوسُف؛ تحقيق: عارف أبو شقرا (1952). *الحركات في لُبنان إلى عهد المُتصرفيَّة: وهي شهادة دُرزيَّة صريحة في مخطوطةٍ تُلمُّ بِحوادث لُبنان وأحواله يُدلي بها من رُواة الدُرُوز شاهدُ عيان*. بيروت: [د.ت].
2. بازيلي، قُسطنطين ميخائيلوڤيتش؛ ترجمة: د. يُسر جابر (1988). *سوريا ولُبنان وفلسطين تحت الحُكم التُركي من الناحيتين السياسيَّة والتاريخيَّة* (الطبعة الأولى). بيروت: دار الحداثة.
3. بو عماد، عاطف (2000). *النكدُيون في عبيه*؛ فصلٌ في كتاب *عبيه في التاريخ: وثائق المُؤتمر التاريخي الأوَّل لِبلدة عبيه* (الطبعة الأولى). [د.م]: لجنة إحياء تُراث عبيه.
4. الجاحظ، أبو عُثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري؛ تحقيق: عبد السلام هارون (1411هـ - 1991م). *رسائل الجاحظ*. بيروت: دار الجيل.
5. جروهمان، أدولف؛ ترجمة: توفيق إسكاروس (1431هـ - 2010م). *مُحاضرات في أوراق البردي العربيَّة*. القاهرة: مطبعة دار الكُتُب والوثائق القوميَّة.
6. حتِّي، فيليب خوري؛ ترجمة: الدكتور جورج حدَّاد وعبد الكريم رافق؛ مُراجعة الدكتور جبرائيل جبُّور (1958). *تاريخ سورية ولُبنان وفلسطين* (الطبعة الثالثة). بيروت: دار الثقافة.
7. حجَّار، جوزيف؛ ترجمة بُطرس حلَّاق وماجد نعمة (1976). *أوروبَّا ومصير الشرق العربي: حرب الاستعمار على مُحمَّد علي والنهضة العربيَّة*. بيروت: المؤسسة العربيَّة لِلدراسات والنشر.
8. خوري، إميل؛ إسماعيل، عادل (1990). *السياسة الدُوليَّة في الشرق العربي* (الطبعة الأولى). بيروت: دار النشر لِلسياسة والتاريخ.
9. رافق، عبد الكريم (1974). *العرب والعُثمانيُّون 1516 – 1916م* (الطبعة الأولى). دمشق: مكتبة أطلس.
10. الرافعي، عبد الرحمٰن (1370هـ - 1951م). *عصر مُحمَّد علي* (الطبعة الثالثة). القاهرة: مكتبة النهضة المصريَّة.
11. الزركلي، خير الدين (2002). *الأعلام: قاموس تراجم* (الطبعة الخامسة عشر). بيروت: دار العلم للملايين.
12. زهر الدين، صالح (2007). *تاريخ المُسلمين المُوحدين الدُرُوز* (الطبعة الثالثة). بيروت: المركز العربي للأبحاث والتوثيق.
13. زيدان، جُرجي (2012). *تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر*. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. ردمك ٨ ٩٤ ٥١٧١ ٩٧٧ ٩٧٨.
14. عُمر، عُمر عبد العزيز (1405هـ - 1989م). *تاريخ المشرق العربي* (1516 – 1922). بيروت: دار النهضة العربيَّة.
15. غنَّام، رياض حُسين (2018). *وثائق سياسيَّة من تاريخ المُقاطعات اللُبنانيَّة 1707 – 1873* (الطبعة الأولى). بيروت: دار معن.
16. سبانو، أحمد غسَّان ([د.ت]). *مُذكَّرات تاريخيَّة عن حملة إبراهيم باشا في سوريا*. دمشق: دار قُتيبة.
17. سُليمان، هلا (1422هـ - 2001م). *أثر الحملة المصريَّة على بلاد الشَّام (1831 – 1840)، ولاية طرابُلس نموذجًا*. طرابُلس: المؤسسة الحديثة لِلكتاب.
18. الشدياق، طنُّوس بن يُوسُف الحدثي الماروني؛ وقف عليه وناظر طبعه المُعلِّم بُطرس البُستاني سنة 1859؛ تحقيق مارون رعد (1995). *أخبار الأعيان في جبل لُبنان*. بيروت: دار نظير عبُّود.
19. الشنَّاوي، عبد العزيز (1984 – 1986). *الدولة العُثمانيَّة دولة إسلاميَّة مُفترى عليها*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريَّة.
20. الشهابي، حيدر بن أحمد؛ تحقيق: د. نعيم مُغبغب (2000). *نُزهة الزمان في تاريخ جبل لُبنان* (الطبعة الثانية). [د.م]: [د.ن].
21. الصليبي، كمال سُليمان (1991). *تاريخ لُبنان الحديث* (الطبعة السابعة). بيروت: دار النهار للنشر.
22. طقُّوش، مُحمَّد سُهيل (1429هـ - 2008م). *تاريخ العُثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة* (الطبعة الثانية). بيروت: دار النفائس. ردمك 9789953183206.
23. فريد بك، مُحمَّد؛ تحقيق: الدُكتور إحسان حقِّي (1427هـ - 2006). *تاريخ الدولة العلِيَّة العُثمانيَّة* (الطبعة العاشرة). بيروت: دار النفائس. ردمك 9953180849.

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

24.كامل، مُصطفى (2014). *المسألة الشرقيَّة*. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. ردمك ٦ ٦٦٦ ٧١٩ ٩٧٨ ٩٧٧.

25.مشاقة، ميخائيل؛ تحقيق وتقديم: أحمد غسَّان سبانو (1981). *تاريخ حوادث الشَّام ولُبنان أو تاريخ ميخائيل الدمشقي: 1192 – 1257هـ* (الطبعة الأولى). بيروت: دار قُتيبة.

26.يعقوب، حلمي القمص (2001). *يا إخواننا الكاثوليك متى يكون اللقاء؟*. [د.م]: [د.ن].

دوريَّات مُحكَّمة:

1. مجلة آداب الرافدين للعلوم الإنسانية والاجتماعات، العدد 62 (ربيع 2012). ردمد ٠٣٧٨-٢٨٦٧.

جرائد ومجلَّات:

1. القبس (2009): جريدة كويتيَّة يوميَّة مُستقلَّة. تأسست سنة 1972م. تصدر عن دار القبس لِلصحافة والطباعة والنشر.
2. مجلَّة نارت (2008): تصدر عن الجمعيَّة الخيريَّة الشركسيَّة في الأردن.

1. Chauvelier, Dominique (1971). *La Societé du Mont Liban à l'epoque de la revolution industrielle en Europe*. Paris: Librairie Orientaliste P. Geuthner.
2. Cleveland, William L; Bunton, Martin P. (2009). *A History of the Modern Middle East* (4th ed.). Westview Press. ISBN 9780813343747.
3. Dalberg-Acton, John Emerich Edward; et al. (1912). *The Cambridge Modern History*. New York: The MacMillan Company.
4. Dawson, Warren Royal; Uphill, Eric Parrington (1972). *Who Was Who in Egyptology* (2nd ed.) London: Egypt Exploration Society. ISBN 9780856980312.
5. Fahmy, Khaled (2002). *All the Pasha's Men: Mehmed Ali, his Army and the Making of Modern Egypt*. American University in Cairo Press. ISBN 9789774246968.
6. Harris, William (2012). *Lebanon: A History, 600-2011*. Oxford University Press. ISBN 9780195181111.
7. Inalcık, Halil. Trans. by Gibb, H.A.R (1979). *The Encyclopaedia of Islam*, (New Ed.), Vol. V. Leiden: E.J. Brill.
8. Ismail, Adel (1976). *Consulat de France à Beyrouth (1844-1846). Le Liban, documents diplomatiques et consulaires*. Beyrouth: Editions des oeuvres politiques et historiques.
9. Jones, Raymond A. (1983). *The British Diplomatic Service, 1815–1914*. Waterloo, ON: Wilfrid Laurier University Press. ISBN 9780889201248.
10. Napier, Elers (1862). *The Life and Correspondence of Admiral Sir Charles Napier, K.C.B*. London: Hurst and Blackett.
11. Shams El-Din, Osama (2007). *A Military History of Modern Egypt from the Ottoman Conquest to the Ramadan War*. United States Army Command and General Staff College.
12. Yazbak, Mahmoud (1998). *Haifa in the Late Ottoman Period, A Muslim Town in Transition, 1864 – 1914*. Brill Academic Pub. ISBN 9004110518.
13. Young, George (2002). *Egypt from the Napoleonic Wars Down to Cromer and Allenby*. Gorgias Press LLC. ISBN 9781931956888.

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

References

1. Abu Shaqra, Yusuf; Edited by: ʻArif Abu Shaqra (1952). *The uprisings in Lebanon up till the Mutasarrifate: An explicit Druze testimony in a manuscript relating the incidents and conditions of Lebanon given by eyewitness Druze narrators*. Beirut: [n.p].
2. Al- Jāḥiẓ, Abū ʿUthman ʿAmr ibn Baḥr ibn Maḥboub al-Kinānī al-Baṣrī; edited by Abd al-Salam Haroun (1411 AH - 1991 CE). *Al- Jāḥiẓ's theses*. Beirut: Dar Al-Jeel.
3. Al-Rafi'i, Abd al-Rahman (1370 AH - 1951 CE). *The era of Muhammad Ali* (3rd ed.). Cairo: Maktabat Al-Nahada Al-Misriyya.
4. Al- Salibi, Kamal Suleiman (1991). *A History of Modern Lebanon* (7th ed.). Beirut: An-Nahar Publishing House.
5. Al-Shehabi, Haider ibin Ahmed; edited by: Dr. Naeem Mughabghib (2000). *A Walk of Time in the History of Mount Lebanon* (2nd ed.). [n.p]: [n.p].
6. Al-Shidiac, Tannous ibn Yusuf al-Hadthi al-Marouni; overseen by Mu'allim Boutros Al-Bustani in 1859; edited Maroun Raad (1995). *News of the notables in Mount Lebanon*. Beirut: Dar Nazeer Abboud.
7. Al-Shenawi, Abdel Aziz (1984-1986). *The Ottoman Empire a Slandered Islamic state*. Cairo: The Anglo-Egyptian Library.
8. Al-Zarkali, Khair al-Din (2002). *Al A'lam: A Dictionary of Biographies* (15th ed.). Beirut: Dar Al-ʻilm li Al-Malayeen.
9. Basili, Konstantin Mikhailovich; Translated by: Dr. Yusr Jaber (1988). *Syria, Lebanon and Palestine under Turkish rule from political and historical perspectives* (1st ed.). Beirut: Dar Al-Hadatha.
10. Bo Emad, Atef (2000). *The Nakadis in Abayh*; A chapter in *Abey in history: documents of the first historical conference of the town of Abey* (1st ed). [n. p.]: Committee to revive the heritage of Abey.
11. Farid Bey, Muhammad (2006). *History of the Exalted Ottoman State* (10th ed.) Beirut: Dar al-Nafa'is.
12. Ghannam, Riad Hussein (2018). *Political documents from the history of the Lebanese provinces 1707-1873* (1st ed.). Beirut: Dar Ma'n.
13. Grohmann, Adolf; Translated by: Tawfiq Escaros (1431 AH - 2010 CE). *Lectures on the Arabic Papyrus*. Cairo: National Library and Archives Press.
14. Hajjar, Joseph; Translated by Boutros Hallaq and Majid Nehme (1976). *Europe and the Fate of the Arab East: The Colonial War against Muhammad Ali and the Arab Renaissance*. Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.
15. Hitti, Philip Khuri; Translated by: Dr. George Haddad and Abdel Karim Rafik. Reviewed by Dr. Jibra'il Jabbour (1958). *History of Syria, Lebanon, and Palestine* (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Thaqafa.
16. Kamel, Mustafa (2014). *The Eastern Question*. Cairo: Hindawi Foundation for Education and Culture. ISBN 6 666 719 977 978.
17. Khuri, Emile; Ismail, Adel (1990). *International Politics in the Arab East* (1st ed.). Beirut: Publishing House for Politics and History.

DOI: 10.33193/JALHSS.67.2021.480
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (67) May 2021
العدد (67) مايو 2021

18. Mishaqa, Mikhail; Edited and forwarded by: Ahmed Ghassan Sabano (1981). *The history of Damascus and Lebanon's incidents or the history of Mikhail al-Dimashqi: 1192 - 1257 AH* (1st ed.). Beirut: Dar Qutaiba.
19. Omar, Omar Abdel Aziz (1405 AH - 1989 CE). *History of the Arab Mashreq (1516 - 1922)*. Beirut: Dar Al-Nahda Al- 'Arabiyya.
20. Rafiq, Abdel Karim (1974). *The Arabs and the Ottomans 1516-1916 CE* (1st ed.). Damascus: Atlas Library.
21. Sabano, Ahmed Ghassan (n.d). *Historical notes on Ibrahim Pasha's campaign in Syria*. Damascus: Dar Qutaiba.
22. Suleiman, Hala (1422 AH - 2001 CE). *The impact of the Egyptian campaign on the Levant (1831 - 1840), Tripoli as a model*. Tripoli: Al-Mu'assasa Al-Haditha li Al-Kitab.
23. Tuqoush, Muhammad Suhail (1429 AH - 2008 CE). *The History of the Ottomans from the Establishment of the State to the Coup against the Caliphate* (2nd ed.). Beirut: Dar al-Nafa'is. ISBN 9789953183206.
24. Yaqoub, Helmy Al-Qums (2001). *O Catholic brothers, when will the meeting be?* [n.p.]: [n.p.].
25. Zahreddine, Saleh (2007). *A History of the Druze Muwaḥḥidūn Muslims* (3rd ed.). Beirut: Arab Center for Research and Documentation.
26. Zaydan, Jurji (2012). *Biographies of famous eastern people in the nineteenth century*. Cairo: Hindawi Foundation for Education and Culture. ISBN 8 94 5171 977 978.